

نوال مهنى

أوراق شاعرة

(كتابات نثرية)

الجزء الأول

مقدمة

كتبت هذه المقالات على فترات زمنية متباعدة ونشر معظمها متناثراً في الصحف والمجلات طبقاً للقضايا المطروحة .

ثم احتفظت بها كذلك دون إضافة أو حذف وبلا تعديل أو تبديل ولذا أعتقد أنها صادقة في التعبير عن أفكارى وما يجيش بنفسى من اختلاجات وانفعالات حاملة في طياتها نبضات روحى فى عفوية صريحة لا زيف فيها ولا تصنع .

وهذه المجموعة من المقالات النظرية تنقسم إلى قسمين بعضيا ذاتى يصور همومى ومعاناتى الخاصة ويصور تجربتى كشاعرة لها رؤاها التى قد تعترضها صور من المتاعب والعقبات وأيضاً تحفها صور من البهجة والتفاؤل التى جبلت عليهما بحكم طبيعة المحبة للحياة .

والبعض الآخر موضوعى يناقش قضايا مثارة ومطروحة تفرض نفسها على الساحة الأدبية فلا يجد الأديب بداً عن التعرض لها والتعامل معها .

وهذه المقالات هى فى مجملها تدور حول قضايا المرأة والإبداع والتأمل فى الطبيعة والحياة بكل شئونها وشكولها وآمالها وآلامها ولذا أضعتها بين يدى القارئ فى نقّة واطمئنان أنها تمثل صورة نفسى ومراة فكرى وعصارة وجدانى .

المؤلفة

المرأة والإبداع

ثمة علاقة حميمة بين المرأة والإبداع . فالمرأة عنصر هام فى العملية الإبداعية لأنها تحتل محاور ثلاثة رئيسية فهى إما ملهمة أو متذوقة أو مبدعة . وهذا الثالث يجعلها تطل برأسها وكيانها من داخل العمل الإبداعي وتتألق فيه فكرا ووجدانا وإذا اتفقنا أن العملية الإبداعية هى بكل المقاييس عملية إنسانية بحتة أدركنا أن وجهيها رجل وامرأة ؛ لأن كلا منهما يمثل نصف إنسان . غير أنه يحمل النصف الآخر بداخله .

ولعلنا نتذكر قول المبدع الأعظم : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة » ، وعلينا أن نتأمل أدوار المرأة فى العملية " الإبداعية " من خلال المحاور الثلاثة التى أشرنا إليها .

المرأة الملهمة

احتلت المرأة الملهمة مكانة عظيمة فى عقل الفنان وقلبه لأنها كامنة فيه فأفاض فى تصويرها شعرا ونثرا ورسما وتشكيلا . وإذا كانت الطبيعة هى الملهم الاول للفنان فإن الانسان . كما يرى الفلاسفة . هو النموذج المصغر للطبيعة بيد أن هذا النموذج يتجلى أروع ما

يكون في المرأة فهي الخصوبة والمحبة والتضحية والإيثار والملاذ
والسكينة . . الخ وبالرغم من تعدد أدوار المرأة في حياة الرجل فهي
الأم والزوجة والأخت والإبنة . . الخ فان المرأة الحبيبة استأثرت
بالقسم الأكبر من اهتمام المبدعين . وإذا أخذنا لذلك مثالا من الشعر
وجدنا الشعراء أفاضوا في الحديث عنها ؛ إذ يستمد منها المبدع
سعادته ونعيمه ، فحين تقبل تشرق الحياة بداخله ، وحين تدبر تظلم
الدنيا بعينيه وكأنها . أي المرأة . جنة الله في أرضه .

ثم يلي دور الحبيبة في الإلهام دور الأم ، فالأمومة هي أصل
الوجود واستمرار الحياة وتعمير الارض وهي الخصوبة في مقابل
الجدب وهي النماء في مقابل الفناء .

فالأم تعطي دمها وأعصابها وعصارة جسدها لجنينها ثم تعطي
حنانها وجهدها ووقتها لوليدها وهي تتعهد بالرعاية حتى يصير إنسانا
مكتملا .

وهي في كل هذا منكورة لذاتها غافلة عن حقوقها واحتياجاتها
لهذا كانت صورة الأم في العملية الإبداعية كما يصورها الشعراء

(على سبيل المثال) هي العطاء الدائم المتواصل دون ملل ودون
إبطاء أو تخاذل

وقد يرتفع دور الأم أو الحبيبة من الحقيقة إلى الرمز فهي
الأرض أو الشمس أو الوطن أو الطبيعة بأكملها .

ويأتي دور الزوجة في المرتبة الثالثة بعد دوري الحبيبة والأم
وهو دور يتقلص كثيرا عن الدورين السابقين إلا اذا افترضنا أن
الزوجة في كثير من الأحيان تقوم بدوري الحبيبة والأم معا .

المرأة المتذوقة

وإذا انتقلنا إلى المحور الثاني في العملية الإبداعية فنحن إزاء
المرأة المتذوقة . والتذوق في اعتقادي . جزء من الإبداع فلو لم يكن
المتلقي يملك حسا أدبيا مرهفا وقدرًا من الوعي الفني والثقافي لما
استطاع أن يحس بالعمل الإبداعي ويتذوقه ويفهم مضمونه .

اذن لا بد أن توجد لغة مشتركة بين المبدع والمتلقي حتى
يكون بينهما تواصل يسمح بانتقال إحساس المبدع وأفكاره إلى المتلقي
. وطبيعة المرأة الرقيقة تجعلها تميل إلى تذوق الفنون والتأثر بها حتى
أنها تعيش معها وبها .

وفي تاريخنا العربي رأينا الكثير من النساء يقبلن على سماع
الشعر والغناء والموسيقى ويحرصن على حضور مجالس الأدب .
المرأة المبدعة

والمحور الثالث الذي تحتله المرأة في العملية الإبداعية هو
دورها كمبدعة . فأين مكانة المرأة في الإبداع ؟
(الإبداع الفني بأنواعه المختلفة) أقرب إلى الوجدان ، إذ أن خصوصية
الخيال هي العامل الفعال في العملية الإبداعية ، فكلما كان الانسان
خيالياً كان أقرب إلى العاطفة ، والمرأة بحكم تكوينها أقرب الى
العاطفة . وذلك جزء من رسالتها في الحياة ؛ لذلك برزت المرأة
كمبدعة في جميع المجالات . فهي الشاعرة والكاتبة والعازفة
والرسامة بل حتى على مستوى عامة النساء فأننا نجد الغالبية منهم
برعن في أشغال النسيج والتطريز والتزيين والتنسيق .. (ليس ذلك
فنا ؟)

وقد تألفت أسماء كثيرة لنساء شهد لهن المجتمع بالإجادة . وفي مثال
الشعر السالف ، نرى المرأة العربية في عصورها المختلفة قطعت
شوطاً كبيراً بل كانت رائدة في هذا المجال ، فالخنساء مثلاً برعت في

شعرها بل لقد ناظرت الكثير من الشعراء المعاصرين لها ، وتفوقت عليهم حتى شهد لها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنها أشعر أهل زمانها .

ثم تتابعت الشاعرات والأدبيات بعد ذلك حتى أصبحت علامة مميزة في أدبنا العربي وأصبح للمرأة في عصرنا الحاضر حضور قوي في المنتديات الأدبية وعلى صفحات الجرائد والمجلات لماذا تأخرت المرأة عن الرجل ؟

ورغم هذا ظل عدد المبدعات قليلا بالقياس إلى عدد المبدعين ، ولعلني أتذكر . في هذا المقام . مقولة لأستاذنا عباس العقاد حين قال : " أن الاستعداد للشعر نادر وهو بين النساء أندر " .

بيد أنني أجدني وجها لوجه إزاء سؤال ملح يقول : هل تأخر المرأة في هذا المجال عن الرجل يرجع إلى قصور في طبيعتها أم لعوامل اجتماعية فرضت عليها ؟

وأعتقد أنني كشاعرة من حقي أن أجيب عن هذا السؤال ، فأقول :

إن المرأة بصفة عامة لا تملك من أمر نفسها ما يملك الرجل .
فهي مثقلة بأعباء بيتها وأبنائها وقلما تستطيع الفكّك من هذه
المسؤولية لمتابعة شؤون إبداعها ، وهي أيضا لا تملك حرية التحرك
والوجود في المنتديات الأدبية والمؤتمرات الثقافية . هذا الوجود أمر
حيوي يساعدها على الاحتكاك بالمستويات الأدبية المتقدمة ويمكنها
من الوقوف على أوجه النقد المختلفة ، وبالتالي معرفة حدود موهبتها
وأیضا يحفزها على الاستمرار والتواصل مع غيرها من المبدعين
 ويفتح أمامها مجالات النشر .
إن المرأة دائما محاطة بقيود صارمة بعضها موروث وبعضها بحكم
ظروفها العائلية . وأغلب هذه القيود من صنع الرجل . والرقابة على
المرأة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها
وخيالها . أي منعها من حرية التعبير عن أفكارها ومشاعرها .
ومحاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها والبحث بين السطور عن
أدلة اتهام ضدها .
وهكذا تقف المرأة في معظم الأحيان في موقف دفاعي أمام
الرجل المهاجم الذي يريد أن يضعها في قفص الاتهام .

وهذا ما جعل الكثير من المبدعات يتوقفن في منتصف الطريق
أو يمارسن الكتابة سرا وكأنهن يقمن بعمل غير مشروع .
المرأة والقيود

لا أظن أن المرأة العربية تضيق بالقيود على إطلاقها ، لأن الكثير من
هذه القيود قد نما وتأصل فيها عبر مراحل تربيتها وتعليمها حتى
أصبح جزءا أصيلا من تكوينها ، وبالتالي أصبحت سلطة هذه القوانين
المكتسبة تمثل التزاما خلقيا يشكل رقابة داخلية تتمثل في سلطة
الضمير أو (الأنا الأعلى) وهذا القيد اللاشعوري له دور كبير ،
وخاصة إذا كان نابعا من تعاليم الدين بما له من قدسية في النفس .
والسؤال الثاني الذي يبرز في ذهني هل يوجد إبداع أصيل دون حرية
الفكر والخيال ؟ والحقيقة التي تفرض نفسها هي أن انتقاء الحرية في
التعبير يؤثر بلا شك على الإبداع . وإذا سلمنا بأن المرأة تعاني من
قيود كثيرة تعوق حركتها وتحد من إبداعها وتؤثر بالتالي على إنتاجها
، أدركنا أن ذلك أحد أسباب تأخرها عن الرجل في هذا الميدان .
إضافة إلى هذا يجب أن نضع في اعتبارنا عنصر الزمن ، فالمرأة
حديثة عهد نسبيا بالتعليم والعمل والخروج للحياة والتطلع والطموح

إلى تحقيق ذاتها ، وإظهار مواهبها . وإلى عهد قريب جدا كانت المرأة العربية والشرقية (فى العصور الحديثة) لا تخرج اهتماماتها عند حدود بيتها وشئون أسرتها ، واعتبار الثقافة بالنسبة لها ترفا لا مبرر له ولا حاجة إليه .

والأسرة العربية بصفة عامة لا تلقى اهتماما كبيرا لنموذج إحدى بناتها فى مجال ما ، بالقدر الذى يبدوا واضحا إذا نبغ أحد أبنائها .

ولذا كان لازما على المرأة التى تأنس فى نفسها موهبة إبداعية أن تنميتها وتدافع عنها وتتعهدها بالرعاية حتى تورق وتزهر وتثمر وحين إذن سوف يعترف المنصفون بها ويشهدون لها .

نشرت بمجلة الحرس الوطنى السعودى - سبتمبر ١٩٩٤م .

غاية الغايات

السعادة .. لفظ جميل مغلف بكل معاني البهجة والسرور والأمل ،
ولكن .. ترى ما هي السعادة ، وفي أي شئ تكون ، وما الوسائل الى
تحقيقها ؟

ماذا لو طرحنا هذه الاسئلة على عامة البشر وخاصتهم .. ترى ماذا
تكون أجابتهم ؟

أعتقد أنهم سوف يختلفون كثيرا في تحديد مفهوم واضح أو وضع
تعريف محدد للسعادة . ذلك لأن كل منهم يراها في أشياء غير التي
يراهها الآخرون وسوف تختلف وسيلة كل منهم في تحصيلها والوصول
إليها ، ولكن من المؤكد أنهم سوف يتفقون جميعا في أن السعادة غاية
عزيزة الإدراك .

فقد يقضي الانسان حياته كلها باحثا عن السعادة لا هتأ وراءها في
محاولة لتحقيقها فيخفق في مسعاه ويكتشف أن كل ما وصل إليه بعد
جد واجتهاد ما هو في الواقع إلا وسيلة إليها ، ذلك لأن السعادة - كما
قال أرسطو - هي غاية الغايات ، وكل غاية سواها ما هي إلا وسيلة
إليها .

ان الصحة والجاه والسلطان والمال والبنين والنجاح والتفوق وكل ما
أوتي الانسان من نعم الحياة ليس في الحقيقة سوى وسائل للوصول به
الى حالة من الرضا والراحة والإمتاع ، أي الى السعادة ، حتى
العبادات هدفها النهائي وغايتها الكبرى سعادة الانسان في الدنيا
والآخرة ، ولو لم يكن في الآخرة عقاب وثواب ونار وجنة وجحيم
ونعيم وما يترتب على ذلك من تعاسة أو سعادة لما تعبد أبناء آدم
لخالقهم ولجرفتهم الحياة الدنيا عن التفكير فيما بعدها اذن . . الغاية
دائما هي السعادة .

وللسعادة وسائل كثيرة تجل عن الحصر . ولكني أعتقد أن الإيمان
والفنون والحب هم أدوات السعادة الحقيقية . فالإيمان يجعلك صافي
النفس نقي الوجدان ، وما يتبع ذلك من قناعة ورضا وأمن وسلام ،
والفنون الجميلة من شعر ونثر وموسيقى ورسم ونحت وكل ما ينتمي
إلى عالم الوجدان يوقظ فيك المشاعر النبيلة والأحاسيس الجياشة
ويجذبك جذبا إلى منابع الحياة لنعيش كإنسان ، وما أغنيه بكلمة إنسان
كل ما يختلف عن الجانب البيولوجي الذي تتساوى فيه جميع الكائنات
الحية سواء العليا أو الدنيا منها .

ودراسته العميقة لكل من الشعر والموسيقى أن يلم بالتفاصيل الدقيقة والدقائق الكثيرة ، فجاء مشروعه مكتملا يحوي الشارد والوارد .
ويقدم للشعر وللموسيقى خدمة جليلة .

إن هذا المشروع الذي أسماه صاحبه (مشروع المعمل الموسيقي لعروض الخليل)

ينطلق من إيقاعات الخليل بن أحمد وهو خادم لها ويخرجها من حيث النظريات إلى التطبيق العملي الذي يعين الطالب في دراسته ويجعله يميز بين نغمات البحور المختلفة . فهو وسائل إيضاح إلى جانب الدراسة النظرية ويساعد الطالب على تذوق وهضم مادة العروض الشعري ، هذه المادة الصعبة الجافة بقوايلها المعقدة الشديدة الوعورة التي تعتبر دراستها أمرا عسيرا يصيب الطالب بالملل .
وكما هو معروف فإن العروض مادة صوتية تحتاج إلى التدريب والتطبيق العملي .

لذا نتمنى أن تتبنى هذا المشروع بعض الجهات المسؤولة عن الثقافة والفن والمحافظة على التراث ، مثل المجلس الأعلى للثقافة - جامعة الأزهر - ووزارة التعليم العالي ، فيطبع وينشر ويطبق حتى يمكن

الاستفادة به في الكليات التي تهتم بدراسة اللغة العربية وعروض
الشعر ، وأيضا في معاهد الموسيقى المختلفة .
ففي ذلك خدمة لفن الموسيقى ولعلم العروض ولدارسيه ، لذا نرجو
لمشروع الشيخ د. زكي خطاب أن يرى النور قريبا حتى تعم فائدته
ونجني ثماره .

فحين يسمو الإنسان بروحه إلى قيم الانسانية الحقّة فهو يعلو على
قالب الطين الذي منه تشكّل وأخذ صورته الاولى ويرقى إلى عالم
الروح ألانهائي ، حيث المطلق والخلود ، ويخلق في عوالم الابدية
بعيدا عن دنس المادة .

فيتّجه إلى حب الحق والخير والجمال والوطن والأهل والطبيعة وكل
ما هو جميل في الحياة وكل ذلك يجعله نقيا شفافا فينبعث الضوء من
داخله وينعكس على الأشياء من حوله فيرى الكون كله جمالا وبهاء .
ولكن المبدع الأعظم يجعل السعادة أحيانا في أبسط الأشياء أمام أعيننا
دون أن نبذل جهدا في البحث عنها ، ولكن لا يفطن اليها إلا أصحاب
القلوب الرقيقة والنفوس الملهمة .

نشرت بنشرة اتحاد كتاب مصر - سبتمبر ٢٠٠٠ م .

الشعر والموسيقى

أجل أهم ما يميز الشعر عن النثر هو ذلك الإيقاع الموسيقي الناتج عن الأوزان الشعرية فتخرج الكلمات من فم الشاعر موقعة تستعذبها الأذن وتطرب لها النفس ولذلك عرف الشعر العربي بأنه فن غنائي . وقد راقني ما سمعته عن مشروع الشاعر الملحن الشيخ د . زكي خطاب الذي ربط فيه بين البحر الشعري والمقام الموسيقي ، وقام بشرح المشروع وتسجيله على اسطوانات بصوته العذب ، فقدم لنا النماذج الشعرية المختارة مصحوبة بإيقاعاتها الموسيقية ، مستخدما لكل بحر شعري المقام المناسب له .

أن مشروع د . زكي خطاب يخدم دراسة العروض ويذل عقباتها ، كما انه يخدم كلا من الشاعر والملحن على السواء ، فيجد الشاعر ومضات موسيقية وإيقاعات نغمية جديدة ، فتفتح أمامه ضروبا جديدة من الابداع ، وكذلك يجد الموسيقي المعاني الشعرية تتجلى بعد تخفي وتعانق روح النغم فتبوح بأسرارها مما يفتح أمامه مجالات أوسع وأرحب لقد ربط الشيخ . زكي خطاب مقامات الموسيقى ببحور الشعر بعد تقصي جميع صورها ونماذجها . وقد أتاح له اطلاعه الواسع ودراسته العميقة لكل من الشعر والموسيقى أن يلم بالتفاصيل الدقيقة والدقائق الكثيرة ، فجاء مشروعه مكتملا يحوي الشارد والوارد .

ويقدم للشعر وللموسيقى خدمة جليلة .
إن هذا المشروع الذي أسماه صاحبه (مشروع العمل الموسيقي لعروض الخليل)

ينطلق من إيقاعات الخليل بن أحمد وهو خادم لها ويخرجها من حيث
النظريات إلى التطبيق العملي الذي يعين الطالب في دراسته ويجعله
يميز بين نغمات البحور المختلفة . فهو وسائل إيضاح إلى جانب
الدراسة النظرية

ويساعد الطالب على تذوق وهضم مادة العروض الشعري ، هذه
المادة الصعبة الجافة بقوايلها المعقدة الشديدة الوعورة التي تعتبر
دراستها أمرا عسيرا يصيب الطالب بالمل .
وكما هو معروف فإن العروض مادة صوتية تحتاج إلى التدريب
والتطبيق العملي .

لذا نتمنى أن تتبنى هذا المشروع بعض الجهات المسؤولة عن الثقافة
والفن والمحافظة على التراث ، مثل المجلس الأعلى للثقافة - جامعة
الأزهر - ووزارة التعليم العالي ، فيطبع وينشر ويطبق حتى يمكن
الاستفادة به في الكليات التي تهتم بدراسة اللغة العربية وعروض
الشعر ، وأيضا في معاهد الموسيقى المختلفة .

ففي ذلك خدمة لفن الموسيقى ولعلم العروض ولدارسيه ، لذا نرجو
لمشروع الشيخ د. زكي خطاب أن يرى النور قريبا حتى تعم فائدته
ونجني ثماره .

نشرت بمجلة النقاب العربي - فبراير ٢٠٠٠ م .

الكلمة أمانة ومسؤولية

(أولا - الكلمة)

في البدء كانت الكلمة . وبعدها بدأ كل شيء وللکلمة في معاجمنا اللغوية تعريف محدد - فهي قول مفرد دال على معنى - أي أن الكلمات صور للمعاني فالعلاقة اذن بين اللفظ والمعنى أو بين اللغة والفكر علاقة تلازميه لا انفصال لها ويستحيل تصور أحدهما دون الآخر سواء كان ملفوظا أو مسطورا ، وكل قول لا بد انه يحمل معنى أي يحمل فكرا أو موقفا . وبالتالي يمثل قضية يتحمل الانسان تبعثها طبقا لما ينتج عنها أو يترتب عليها .

والکلمة هي وحدة البناء اللغوي - فما اللغة إلا مجموعة من الكلمات - ولكل كلمة مفردة معنى عام ومعنى خاص ، وربما يكون للكلمة الواحدة عدة معان ويتحدد المعنى المقصود من هذه الكلمة المفردة من تركيبها مع مفردات أخرى لتكوين ما يسمى بالجملة . والكلمات هي وسيلة الاتصال بين البشر فلولا وجود اللغة لتعذر التواصل والاتصال وتعذر بالتالي تبادل الخبرة والمعرفة وتناقل الأفكار . وقد بدأت الكلمات بسيطة محددة ثم أخذت تزداد أعدادها وتتسع مدلولاتها تبعا

لإرتقاء الإنسان فاللغة بهذا ظاهرة إجتماعية أو جدتها الحاجة للتعامل والتفاعل بين البشر ولكل قوم لغتهم المعبرة عنهم ولكل لغة جما لياتها الخاصة وتراكيبها المميزة ولهذا تعد اللغة من عناصر تكوين الأمة لأنها وسيلة التعبير عن أفكارها وتوحيد مشاعرها وحفظ تراثها.

(ثانيا - الأمانة)

والإنسان حينما يعبر بالكلمة فإنه يصدر عن محتواة الفكرى والوجدانى وعن مخزونة الثقافى الذى يشكل رؤاه ويصوغ آراءه . والأمانة تستلزم الصدق فى التعبير دون الخوف من سلطة خارجية ودون إملاء من أحد ولا يجب أن يوظف الكاتب أو المبدع قلمه لخدمة أغراض لا يؤمن بها ولا يعتقد بها وهذا يتطلب أن يكون الكاتب ذا ضمير يقظ ورأى حر - . والكلمة تطلق مجازا على كل قول يصدر عن الإنسان فمن يسخر فكره لخدمة أتجاه أو مذهب معين بغرض الجرى وراء المكاسب والمنافع دون اقتناع ودون وجه حق أو مجاملة للبعض على حساب الآخرين إنما يكون قد خان نفسه ومن يخن نفسه لا يؤتمن على شئ .

والأمانة كما نعلم تقابلها الخيانة ، والمبدع ينبغي أن يكون له مبدأ واضح وعقيدة ثابتة لا تناقض فيها وأن يلتزم بما يعتقد قولا وفعلًا في حياته فإن فعل ذلك فقد فهم فلسفة الحياة وصار فيلسوفا في مجال فكره وفنه .

(ثالثا - المسؤولية)

والأمانة تلقى على عاتق صاحبها مسؤولية كبيرة وأعباء جسيمة فمن حمل الأمانة مختارا كان لزاما عليه تحمل تبعاتها فقد يتعرض صاحب الأمانة لمتابعب جمة وتضحيات بالغة . قد تصل لحد النفى أو التشريد أو مصادرة حقوقه المدنية والحجر على آرائه - وقد تصل إلى حد تهديد حياته وتقييد حريته . ولكن عبء المسؤولية الثقيل لن يمنع صاحب الكلمة وحامل الأمانة من التصدى لجحافل الظلام ودعاة الهدم حتى ينبثق النور وينتصر الحق من أجل خير الإنسانية . فهذا هو دور المخلصين الصادقين من أصحاب الكلمة الذين حملوا الأمانة ونهضوا بالمسؤولية دفاعا عن قيم الحق والخير والجمال - فالكلمة أمانة ومسؤولية *

نشرت بنشرة اتحاد كتاب مصر - ديسمبر ٢٠٠٠ م .

(الرواية تتساق على أكتاف الشعر لنزع أو سمته .)

من القضايا الادبية المطروحة للنقاش قضية الشعر أم الرواية ديوان العرب الحديث ؟ حيث يستمر الجدل بين أنصار الشعر وأنصار الرواية وكأنها نقيضان لا حياة لأحدهما في وجود الآخر .

وفحوى القضية هي محاولة إقصاء الشعر عن مكانته وتجريده من هذا اللقب السامي الذي ظل يحمله على كاهله ويزهو به لقرون عديدة . وقد بدأ الصراع - في حدود علمي - حين أطلق أحد النقاد المعروفين مقولته الشهيرة - أن الرواية هي ديوان العرب المعاصر - وتلقف هذه المقولة نفر غير قليل من -انصار الرواية بالطبع- لاستغلالها في الترويج للرواية على حساب الشعر .

وهذه المقولة تتطوي على مغالطة كبيرة فاللقب الذي ارتبط بالشعر إرتباطا وثيقا وتاريخيا لا يمكن سلبه بهذه السهولة لمجرد أن الشعر تراجع قليلا في حين ازدهرت الرواية في حقبة زمنية قصيرة بفعل أسباب كثيرة - منها تدهور مستوى اللغة العربية وظهور حركات مخربة ينسب أصحابها انفسهم إلى الشعر وهو منهم براء . ثم ذبوع الرواية والقصة من خلال التمثيل في السينما والتلفزيون بما لهما من

جاذبية خاصة وسعة انتشار ثم إنصراف الناس عن القراءة الجادة
نتيجة لمادية العصر أضف إلى ذلك أن الشعر يتطلب توافر قدر من
الثقافة وحسن التذوق لدى المتلقي ، ورغم هذا فالشعر يعد أرقى فنون
القول وسيدها لدى جميع الأمم ، فما بالنا بالشعر العربي الذي يكتب
بافصح اللغات وأجملها وأكثرها ثراء في المفردات والأوزان .
الشعر ديوان العرب بمعنى أنه سجلهم الحافل بأحداثهم الحاوي
لأمجادهم وتفاصيل حياتهم وهو الكنز الثمين الذي حفظ تراثهم من
الضياع ، وهو فن العربية الأول الذي نبغ فيه العرب فجاء إبداعهم فيه
معجزة على غير مثال ومجدا لا يدانيه مجد .
ولعلنا نتذكر قول أبي فراس الحمداني :

{ الشعر ديوان العرب أبدا وعنوان الأدب }

فالشعر العربي إذن هو عنوان الأدب العربي كله وهو فن العرب
الخالد وهو القول البليغ الجميل الساحر الذي يسبي الالباب ويستميل
القلوب . . ثم أن الشعر يمتلك من المزايا ما لا تمتلكه الرواية أو أي
فن آخر من فنون اللغة .

هل نستطيع أن نستشهد بسطر من الرواية في المواقف الحياتية
المختلفة كما هو الحال مع البيت الشعري ؟
هل يمكننا تلحين الرواية وغناؤها كما نفعل مع القصيدة ؟
هل تملك الرواية الموسيقي الموجودة في الشعر ؟ بمالها من وقع على
نفس المتلقى ؟
هل تملك الرواية التكتيف الشديد في المعاني مثل البيت الشعري الذي
قد يتسع لعدة قضايا . ولنأخذ مثالا لذلك عن الشوقيات .
والدين يسر والخلافة بيعة . والامر شورى والحقوق قضاء
لقد جمع الشاعر أوكاد مبادئ الاسلام الأساسية في بيت واحد من
الشعر إن الشعر وعاء عميق متنوع يحوى القصيدة والموشحة
والانشودة والملحمة والقصيدة الدرامية التى تحوى بداخلها القصة ثم
إن بيت الشعر يحوى الحكمة والعبرة والفكاهة والمثل إلى آخره وإذا
كان بعض المتشاعرين . والادعياء يضيقون بقواعد الشعر أو قيوده
فذلك لعيب فيهم وهو دائما عيب من يحاول ما لا يستطيع فينتهى إلى
الهدم .

ثم ان النثر مهما ارتقى لا يبلغ مرتبة الشعر مطلقا وسيبقى الفضل
للشعر لأنه فن صعب محكوم بضوابط تحتاج إلى قدرات خاصة لا
يملكها الناثر و من البديهي أن كل شاعر أديب وليس كل أديب شاعر
فالشاعر هو ضمير الامة ولسان المجتمع المعبر عن آماله و آلامه
وأفراحه وأحزانه.

إن كاتب الرواية أو القصة حينما يرتقى ويسمو ويتجلى ويصل إلى
ذروة الإبداع يقال عنه أن لغته اقتربت من الشعر أو أصبحت شاعرية
(تجاوزا).

لسنا ضد الرواية أو غيرها من الفنون بل ينبغي أن تتكامل جميع
الفنون كفروع لشجرة الإبداع الإنساني من اجل الارتقاء بالأذوق
وتهذيب المشاعر وتغذية الوجدان وترسيخ القيم وجذب الإنسان إلى
منابع الحياة حتى لاتجف المشاعر بداخاه واذا كان انصار الرواية
يبحثون لها عن لقب فلديهم فى لغتنا الجميلة متسع من الألقاب
ولاداعى للتسلق على اكتاف الشعر لنزع اوسمته التى نالها عن جدارة
لمجرد انه يمر بأزمة او معاناة مرحلية

نشرت بالأهرام ١٩٩٨/٩/١ م .

(لغة الشعر بين الفصحى والعامية)

لعل من أوضح الأمور وأكثرها جلاء لكل ذى عقل - أن الابداع الراقى يكتب بلغة راقية ذلك لأن الفن الرفيع يحتاج بالضرورة الى لغة رفيعة .

ولما كان الشعر أسمى وأرقى فنون الكلمة كان لابد أن يكتب بلغة خاصة يطلق عليها أهل القريض اصطلاح (اللغة الشعرية) فالشاعر يعيد بناء اللغة بناء خاصا ، ويستعمل الكلمات - أحيانا - في غير مدلولاتها الحقيقية وينطلق من أسر الواقع الى الخيال في سياحة وجدانية تشف خلالها روحه ، ويرقى وجدانه وتسمو مشاعره فتأتي تعبيراته متسقة مع نوع الانفعال المسيطر عليه وطبقا لحالته الشعورية و لكل أمة فنونها وآدابها التي تتواءم مع لغتها ومع ميول وأذواق شعوبها . واللغة العربية من أكثر اللغات جمالا وثراء وأوفرها عددا في المفردات والأوزان الشعرية .

ولقد حافظت على بقائها وازدادت قوة واتساعا بفضل القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي فصيح وهو بلا شك المدرسة الحية للغة العربية - الباقية إلى يوم تقوم الساعة .

والشعر العربي - كما ورثناه عن أصحابه من أرباب البلاغة
والفصاحة وهم العرب - كان ذروة البلاغة والفصاحة عندهم وتلك
خاصية لا يطاوله فيها قول من أقوال البشر .

وفي عصرنا الحاضر تعددت اللهجات المحلية بتعدد الاقطار العربية
مكونة ما يسمى باللغة العامية وهي اللغة التي يتحدث بها العامة في
حياتهم اليومية وبقيت اللغة العربية رغم ذلك كله اللغة الرسمية لجميع
الدول العربية في دواوين الحكومة ودور العلم والمساجد (كما ظلت
لغة الكتابة في الكتب والصحف والمجلات) وبديهي ان ما يكتب
بالفصحى يفهمه من يتحدث هذه اللغة - أي ان المتحدث بلسان
عربي فصيح يخاطب كل العرب بل ومن يتحدث العربية من غير
العرب ، فاللغة العربية اذن لغة العرب جميعا بينما العامية لهجات
محلية محدودة .

فما يكتب بالعامية المصرية قد لا يفهم بالمغرب وكذلك وما يكتب
باللهجات السودانية والخليجية والسعودية . . . إلى آخره .

ومن هنا نفهم لماذا يحرص الاستعمار على تفتيت اللغة القومية
وإحياء اللهجات المحلية ؟ الاجابة لأنه يدرك تماما أن اللغة من أهم

عوامل التّوحد والتّآلف بين الشعوب ، ولأن تفتّيت اللغة هو تفتّيت
للسان العربي والوجداني العربي مما يباعد بين الاشقاء ويفرق شمل
الأمة .

وإذا كان من الضروري وجود لهجات محلية تتاسب العامة وتسير
حياتهم وتكتب بها بعض الفنون الخاصة - بالاقليم ونحن لا نقلل من
أهميتها على المستوى المحلي - ولكنها بالتأكيد ليست بديلا عن
الشعر فن العربية الاول ويجب الا تكون على حساب اللغة العربية -
لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ولغة العرب القومية .
وأعود فأكبر أن الأدب الرفيع يحتاج بالضرورة إلى لغة رفيعة .

نشرت بالأهرام ٣٠/٣/١٩٩٩م .

(اتحاد الكتاب والكيانات الصغيرة)

يتحاور أعضاء اتحاد الكتاب وقيادته ممثله في رئيسه وأعضاء مجلس إدارته حول كيفية النهوض بهذا الكيان الشامخ الذي يشرف كتاب مصر ومبدعيها بالانضمام اليه والوقوف تحت لوائه .

الجميع يتحاورون من أجل الارتقاء بهذا الكيان العزيز ومن أجل الوصول به ومعه إلى أفضل ما نرجوه له ولنا .

تكثر الاقتراحات وتطرح الأفكار وتدور المناقشات ومن الطبيعي أن كل اقتراح أو فكرة لها مؤيدون ومعارضون ولا تثريب على مؤيد أو معارض فالجميع يجتهدون في إخلاص شديد لخدمة اتحادهم والعمل لصالحه .

ومن بين الأفكار التي طرحت مؤخرا الدعوة إلى انشاء فروع للاتحاد في المحافظات المختلفة ، وربما كان وراء هذه الفكرة دافع مقبول وهو بعد المسافة بين الاتحاد الرئيسي في العاصمة وبعض المحافظات / مما يجعل تواصل الأعضاء مع اتحادهم ضعيفا للغاية ، ومرهقا ومكلفا في حالة السفر ، وتبدو الفكرة للوهلة الاولى جيدة على الأقل في بعض جوانبها ، لكن بشئ من التأمل تتبدى أمامنا مجموعة من

المصاعب والمتاعب سوف تنشأ كنتيجة حتمية لتطبيق هذه الفكرة :
وهذه المتاعب بإمكانها أن تعكس صفو الإتحاد كله . وأول هذه
المتاعب : هو أن إنشاء مثل هذه الفروع الكثيرة يعتبر تفتيتاً لكيان
الاتحاد الكبير إلى كيانات صغيرة متناثرة وهذا بالطبع يضعف الاتحاد
الرئيسي ويؤثر سلباً في قدراته .

وثانيهما : أن عدد أعضاء الإتحاد في كل محافظة . عدا محافظة
الاسكندرية - لا يزيد على أصابع اليدين في أحسن تقدير ، وهذا العدد
الضئيل لا يصنع فرعاً قوياً ينتظر أن يكون له دور مهم في حياتنا
الثقافية

وثالثها : أن هذا العدد الضئيل في كل محافظة تستوعبه أندية الأدب
في قصور الثقافة أو الجمعيات الأدبية الإقليمية التي تضم أدباء
المحافظة ، وهم أكثر عدداً من أعضاء الاتحاد حيث أن بعض
الأدباء ليسوا أعضاء في الاتحاد ولكنهم أعضاء في أندية الثقافة
والجمعيات الأدبية الأخرى .

ومعنى ذلك أن أدباء المحافظة بمن فيهم أعضاء الاتحاد موجودون
معا في كل الأنشطة الأدبية والثقافية ولن يضيف لهم شيئا أن يزيد
عدد اجتماعاتهم اجتماعا آخر تحت مسمى اتحاد الكتاب
ورابعهما : أن هذه الكيانات الصغيرة سوف تنتخب من بينها مجلس
إدارة اتحاد الكتاب وتحتاج إلى ميزانية ،

إلى آخره ، وربما تسربت الشللية وتدخلت المحسوبة كما يحدث في
المواقع الثقافية الأخرى وما يترتب على ذلك من خلافات وخصومات
بين الأعضاء . وخامسها : عدم وجود أماكن خاصة ملك لفروع
الاتحاد تعقد بها الندوات ومعنى ذلك أن اجتماعات وأنشطة هذه
الفروع سوف تعقد وتقام في أماكن مختلفة وهذا بالطبع سيُشعر
الأعضاء بعدم الاستقلالية لأنهم ضيوف على المكان الذي من الممكن
أن يحتاج إليه أصحاب في أى وقت .

لذا أعتقد أنه من الأفضل للاتحاد أن يظل كيانا واحدا قويا كي يتفرغ
للقضايا الكبرى التي تهتم جميع الأعضاء ولا داعى لتفتيت هذا الكيان
الكبير إلى كيانات صغيرة تستنفد وقت وجهد المسؤولين بما ينتج عنها
من مشاكل صغيرة ، وإذا كان ولا بد من انشاء فروع للاتحاد فيجب

الاقتصار على انشاء فرع بمحافظة الاسكندرية بما لها من وضع خاص حيث يزيد عدد الاعضاء بها على مائة وثلاثين عضوا - في حدود علمي - وايضا لانها تعتبر العاصمة الثانية للجمهورية ومن اكبر مدنها بعد القاهرة . وبعد فهذه محاولة لالقاء الضوء على قضية ما زالت ماثلة أمام الاتحاد ونتمنى لاتحاد كتاب مصر ولأعضائه الرفعة والازدهار الدائمين .

نشرت بالأبرام ١٩٩٩/٦/٢٢ م.

(الشعر شعر والنثر نثر هذه هي القضية)

طوال مسيرة الادب العربي الطويلة منذ العصر الجاهلي وحتى الان ونحن نعرف أن الشعر شعر والنثر نثر . فكل منهما فن مستقل بذاته له أصوله وقواعده المتعارف عليها ولا ينبغي الخلط بين الأجناس الأدبية .

وبمرور الزمن يزداد التخصص وتظهر فنون جديدة هي في الحقيقة روافد من المنبع الاصلي تستمد وجودها منه وليست بديلة عنه ، والفن بطبيعته ظاهرة انسانية قابلة للتطور ، ولذلك خضع الشعر العربي خلال مسيرته لمراحل من التطور وظهرت به فنون جديدة لم يعرفها الجاهليون ، وكان الشعر يرتقي ويزدهر حيناً ويضعف ويضمحل في حين آخر بفعل عوامل وظروف كثيرة لا مجال لذكرها الآن أو الخوض فيها .

ولكن البقاء دائما للأصلح فبعد مراحل الضعف كان الشعر يعود حياً نابضاً بفضل جهد النابغين المخلصين من اصحاب المواهب الحقيقية وبمساعدة عوامل أخرى تزامنت مع هذا الجهد .

وبرغم هذا ظل الشعر شعرا والنثر نثرا ، ثم ظهرت في عالمنا اليوم بعض الجماعات التي تنادي بهدم الحواجز بين الشعر والنثر وقيام مشروعاتهم الجديد المسمى بقصيدة النثر - ذلك اللون الغريب المتناقض الذي ظهر أول ما ظهر في لبنان على أيدي مجموعة من الرافضين سموا أنفسهم شعراء الرفض فهم رافضون للعقل والمنطق والدين والشريعة وقيم وأعراف المجتمع وهم أيضا رافضون لكل نظام يتعلق بأصول القصيدة العربية وينظرون إلى التراث باحتقار شديد على اعتبار أنه سبب تخلفنا . أما هدفهم فهو التحرر والإباحية وهدم كل ما هو أصيل ومقدس ، والجنوح إلى الإبهام والغموض والعبث - وإقامة مجتمعهم الحداثي الجديد كما يقولون - زاعمين أنهم اتوا بما لم يستطعه الأوائل .

وحقيقة الأمر أن هذه الحركة الخبيثة التي سادت الشعر العربي بخاصة والأدب العربي بعامة وهي إن بشر بها بعض دعاة التغريب وذوي الميول الأجنبية والعملاء ، فقد تابعهم نفر غير قليل من الأدعياء وفقراء الموهبة الذين وجدوا فيها من اليسر والسهولة ما

يجنبهم مشاق العروض والقوافي واتقان اللغة ودراسة التراث وما يحويه من تاريخ وفلسفة .

لقد أراحوا أنفسهم من العناء والجهد ، اذ يكفي أن يمسك أحدهم بالورقة والقلم ويستجل متاع يدور بذهنه من هلاوس ورغبات وخزعات ثم يخرج علينا مدعيا أنه كتب قصيدة نثر - ولست أدري كيف يكون النثر قصيدة ! وتحت يدي نماذج كثيرة من هذه الكتابات ويعف قلبي عن إيرادها أو كتابتها حياء وخجلا لما تحويه من ثقافة وإياحية مقرزة وألفاظ هابطة مبتذلة وأسلوب رخيص يروج للرذيلة ويدعو للفساد ويتم عن ذوق فاسد ونفوس مريضة - وأرى تصنيفها ضمن كتب الجنس فلا علاقة لها بالأدب على الإطلاق فقد نسي هؤلاء أن الكلمة أمانة ومسئولية وأصحاب هذا الاتجاه ما برحوا يفاخرون بأنهم يتبعون الأنماط الأوروبية ونسوا أو تناسوا أن ما يصلح في الغرب قد لا يصلح في الشرق . وهم أيضا يفاخرون بأنهم نبت شيطاني لا جذور له وأن قصيدتهم المزعومة لا هي نثر ولا هي شعر بل هي بين أي أنها لقيط وخنثى فلا أب لها ولا جنس لها .

والغريب أن كتاب ما يسمى بقصيدة النثر يهتمون القراء والنقاد بالجهل لعدم فهم كتاباتهم الغربية المريبة وهم يخاطبون الناس من موقع إرهابي ولسان حالهم يقول إما أن تفهم ما لا يفهم وإما أن تكون جاهلا . . . وهذا منطق مريض مولع بالسادية فكتاباتهم إلى جانب إفتقارها للموسيقى والخيال وإلى أبسط قواعد الفن وأصوله لا معنى لها ولا تسلسل منطقي يحكمها ولا يستطيع القارئ ان يخرج منها بشيء ذي بال إلى جانب مفرداتها الحافلة بالسخرية من المقدسات ومن الذات الالهية ، فأغلب هذه الكتابات مليئ بالكفر والإلحاد والهلوس ثم يزعمون إنها حل عبقرى لمشاكل الإنسان إن هذا اللون من الكتابة لا يحتاج إلى قدرات خاصة بل بإمكان أي انسان مهما قل شأنه وهبطت ثقافته وضعفت قدراته أن يدعي أنه شاعر - لأنه يكتب قصيدة النثر - حيث لا ضوابط ولا موهبة ولا إبداع .

فهل من الضروري أن يصبح كل الناس شعراء؟! إن الشعر ملكة وهبها الله لبعض الناس ولم يهبها لكل الناس ومن أهم أسباب انتشار هذه الموجه الضبابية من الكتابة هو أن مجلاتنا الثقافية والأدبية المتخصصة تحتفي بها وباصحابها لأن القائمين عليها ينتمون لهذا

الاتجاه أو يتبنونه لأسباب غير معلنة فقد تكون مجاملة للبعض أو لمصلحة خاصة أو لتصفية حسابات مع الآخرين أصحاب الاتجاهات المعارضة .

وكذلك يفعل بعض النقاد والشعراء المعروفين ويكفي أن شاعرا معروفا كان يروج لهم من خلال مقالة الاسبوعي في جريدة الاهرام أعرق الصحف العربية وأوسعها انتشارا " حتى أنه سماهم أحفاد شوقي لكي يضيفي عليهم شيئا من الشرعية وكان هذا الشاعر قد قصر إحدى المجلات وهو رئيس تحريرها عليهم فهبط توزيعها وانصرف عنها القراء " .

كل هذا بالطبع أدى إلى انتشار هذه الكتابات واستفحال خطرها الذي استشري في جسد الشعر كالسرطان والإيدز أو أشد خطرا بقي أن تقول : أن دوحة الشعر الاصيل الضاربة بجذورها في التربة البازخة بفروعها إلى العلاء سوف تبقى شامخة حتى إن نفضت أوراقها بعض الوقت فسوف تعاود الإخضرار من جديد لأنها تملك مقومات البقاء وهي بالطبع تختلف عن ذلك الطحلب الطافي الذي ينساق مع التيار

مثل السمك الميت دون إرادة في دفعه التيار أني يشاء وتقذفه الأمواج
أنني تريد ثم لا يلبث أن يتعفن ويتحلل .
(فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .. ")
صدق الله العظيم .

نشرت بجريدة الأهرام ١٤/٣/٢٠٠٠ م .

كتاب في ميزان النقد

للحق والنهضة والجمال

أجمل ما قرأت في الأسابيع الأخيرة هذا الكتاب الذى يحمل عنوان -
للحق والنهضة والجمال- للباحث الأديب عبد اللطيف الجوهري .
والمؤلف شاعر سكندري له حضور قوى فى الساحة الأدبية والفكرية
وله عدة مؤلفات بعضها أبحاث وبعضها دواوين شعرية .

ويشتمل الكتاب على ثمانية أبواب تستوعب مقالات مختارة فى
ظلال القرآن والتيارات الفكرية وقضايا الدستور الاسلامى كما تحذر
من خطر التعاليم الأجنبية فى البلاد الإسلامية والغزو الثقافى
والاستلاب الفكرى ثم يتطرق إلى موضوع شائك وهو عبادة الشيطان
قديمًا وحديثًا مبينا آفاقها فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى ويحتفى
بالنماذج الفذة من عباقرة الامتين العربية والإسلامية ونابغيها فى العلم
والادب والدعوة كما يضم دراسات أدبية لنماذج من عيون الشعر
العربى وكذلك تضمن الكتاب بعض القراءات الدينية التى أختيرت
بعين فاحصة ترصد وتتقى وتختار ثم تقدم لنا هذه الباقية الياقة من
كتب الثقافة الرشيدة يقول المؤلف

تَنحاز دراسات هذا الكتاب هذا الكتاب إلى الثقافة والنهضة
والتنوير والمشروع الحضارى

العربى والإسلامى وتدعو إلى وجوب الحوار بين أبناء الأمة
لمواجهة ثقافة الهيمنة والاحتواء وجنود الردة الحضارية والذبان فى
ثقافة القوى المستعلى بفلسفته المادية وقيمه الاستهلاكية وقد حفل
الكتاب بأسما مضيئة من أعلام العروبة والإسلام وما قدموه من جهد
وجهاد فى صبر وإيمان ومنهم على سبيل المثال الشاعر الفيلسوف
محمد إقبال ونقتطف هذه الفقرة من خطابة الذى وجهه إلى العرب منذ
أكثر من ستين عاما مخاطبا إياهم مستهضا عزائمهم حيث يقول لهم
(إن الله قد رزقكم البصيرة ولا تزال فيكم الشرارة فقوموا إليها أيها
العرب وردوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى إن منبع القوة
ومصدرها هو الدين منة يستمد المؤمن العزم والأخلاق واليقين)
ومازال هذا الرأى صالحا بل ما أحوجنا إليه فى عصرنا الراهن .

كذلك لفت نظرى الإشارة إلى كتاب - كشف اللثام عن
رباعيات الخيام للعلامة أبو النصر مباشر الطرازى التركستانى الذى
أثبت فيه بما لا يدع مجالا للشك أن رباعيات الخيام الشهيرة نسبت إلى

عمر بن إبراهيم الخيام النيسابورى وأنها منحولة ومدسوسة عليه وقد اعتمد فى بيان ذلك على أوثق الأسانيد وكتب التراث المعتمدة ويخلص إلى أن الخيام كان فلكيا وفيلسوفاً وعالماً رياضياً ولم يكن شاعراً كبيراً .

وكان شديد التدين متفوقاً فى القراءات فكيف يكون ماجنا ملحدا ؟! ويعاضده عبد الطيف الجوهري مستعرضا الأسباب والنتائج والملابسات التى أحاطت بحياة الخيام ومعاصريه وخصومة ويتضح من مطالعة الكتاب أن المؤلف مهوم بقضايا أمته وهو بهذا الكتاب يضع يده أو كاد موضع الداء محاولاً إيجاد الدواء الناجع ويدعوا الآخرين إلى التكاتف من أجل النهوض بهذا العبء فى خدمة الوطن مما يجعل لهذا المؤلف قيمة فكرية وأدبية كبيرة .

نشرت بالأهرام ١/٨/٢٠٠٠ م .

لماذا هذه الموجة الشرسة على الأخلاق ؟!

الكلمات كما يرى الفلاسفة أوعية للمعاني : بمعنى أن كل ما ينطق به المرء أو يسطره من كلمات إنما يدل على محتواه الفكرى والثقافى فى الدين والقيم والعادات والتقاليد والميول والرغبات والأخلاق . أى أن كل ما يصدر عن الانسان من سلوك إنما هو نوع من الإسقاط يعكس ما بداخله وكل إناء ينضج بما فيه : وبالطبع لا يعقل إن ننتظر الحصول على الرحيق والعطر من إناء مملوء بالعطن والعفن . وفى الآونة الاخيرة كثرت الكتابات العثة والرديئة سواء فى القصة أو مايسمى بقصيدة النثر : ولست ادرى اية قيمة فنية فى هذا السرد المخجل الحافل بالاباحية والفحش ؟!

إن بإمكان أى ماجن أو منحرف إن يسطر مثل ذلك واكثر .. فالامر لايحتاج إلى موهبة أو قدرات خاصة .

وتتمثل خطورة هذه الكتابات فى جنايتها على الأخلاق .. فبقاء الامم مرهون ببقاء أخلاقها (إنما الامم الأخلاق ما بقيت) إن مثل هذه الكتابات تنشر الفساد فى المجتمع وتمهد للرزيلة وتدمر القيم . كما أن كتاب الإباحية بأسلوبهم هذا يستجدون القارئ عن طريق إثارتة ،

وإيقاظ الغريزة البهيمية فيه وما ذلك إلا لافتقادهم إلى الموهبة الحقيقية أو لافتقادهم إلى الدين . والأخلاق أو الاثنين معا - إن أصحاب هذه الكتابات الهابطة فنيا وأخلاقيا هم فى نظر الدين فسقه ، وفى نظر المجتمع منحرفون أما فى نظر علم النفس فهم مرضى وفى حاجة إلى العلاج النفسى حتى يعودوا إلى السواء .

ان هذا النموذج من الكتاب (غير الطيب وغير الصالح) من أصحاب هذا الاتجاه يعيئون فى الأرض فسادا ، بينما يجب على الأديب ان يكون قدوة صالحة فى المجتمع . إن الأدب الرفيع شعرا أم نثرا يخاطب المشاعر والعواطف النبيلة ويسمو بها فيهدب الاخلاق ويقوم النفوس ويرتقى بالأذواق ولعلنا نتذكر قول سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام (لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياء) وقوله (الحياء شعبة من شعب الإيمان) ولنا أن نتساءل بعد كل هذا أى فائدة ممكن أن تعود على القارئ أو المجتمع من هذا البعث ؟ ! إن الأدب فى اعتقادى لا ينفصل عن الجانب الأخلاقى .

إننى أدعو حملة الأقلام وبخاصة الأدباء والشعراء ان يكونوا أحجار بناء لا معاول هدم . ولكننا نرى من بينهم من لا يستحى من الدعوة

إلى الرذيلة والسقوط إلى الهزيمة . وإذا لم تستح فافعل ما شئت
ويصدق فيهم قول المولى عز وجل في محكم آياته . ﴿ وإذا قيل لهم
لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم
المتفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ صدق الله العظيم .

نشرت بمجلة النقابي العربي - ١٩٩٧م .

غربة الشعراء

أقسى ما يؤرق الشاعر هو شعوره بأن نهر الابداع بداخله قد جف ونضبت ينابيعه وأن رياض الشعر قد خوت على عروشها وذبلت أزميرها وتساقطت أوراقها وأن جذوة المشاعر قد خمدت وفقدت بريقها وتوهجها . واستحالت الجنة الوارفة إلى غابة موحشة . ما أقسى هذه الغربة التي يعانيتها الشاعر حينما تهجره بلابل شعرة فيتوقف تدفق المعانى ويقف القلم بين أصابعه وكأنه فقد الحياة ، فلا نبض ولا شعور . ولعل أهم ما يؤرق المبدع ويعمق من غربته هو عدم فهم الآخرين له أو تقديرهم لمشاعره . ذلك لأن المبدع هو بشكل أو بآخر ذو تركيبة نفسية خاصة تختلف عن عامة الناس فأحيانا يكون هادئا سلسا وأحيانا يكون حادا قلقا ، إنه سريع التأثر شديد الحساسية . وقد ينشغل عن الآخرين ولا يشعر بوجودهم أو يميل إلى العزلة والوحدة لأنه فى حوار مع نفسه أو مع الطبيعة أو القلم والأوراق . ولعل لحظات الإلهام التي يتغرب فيها الشاعر عن الآخرين تعد من أخصب لحظات حياته وأكثرها ثراء وأعماقها أثرا وأروعها إبداعا وقد يشعر المبدع بفقدان الزمن وكأنه أفلت من عقارب الساعة ودورات

الشمس والنجوم وبالتالي يختلط لديه الماضي بالحاضر بالمستقبل
نتيجة لاختلاط التذكر بالواقع وبالخيال وتمتزج في رؤاه اللحظة
الماضية بالآنية بالآتية وتتأبه حالة من عدم التوازن وكأنه خرج من
نطاق الجاذبية الأرضية في فضاء غير منتهى وهكذا تستمر معاناة
الشاعر وخاصة في مرحلة التكوين الإبداعي حيث المادة بداخله
هلامية لم تتحدد ملامحها بعد .

نشرت بجريدة الزمان ١٩٩٩/٦/١ م .

بعد التحية عزيزتي بنت المنيا

من أجلك أنت نقدم هذه الصفحة التى تهتم بقضاياك وتعنى بشئونك وقضايا المرأة فى العصر الحديث كثيرة وشائكة ، والملاحظ أن اكثر فتياتنا المتعلّقات يهجرن الاطلاع ومزاولة أى نشاط ثقافى بمجرد تخرجهن من معاهد العلم وجامعاته واعتبار أن دورهن فى الحياة ينحصر فى أعمال المطبخ ومتطلبات الوظيفة . وهذا بالطبع دور هام وضرورى ولا غبار عليه ، ولكن هذا الدور تتساوى فيه جميع النساء المتعلّقات وغيرهن ، والمطلوب من المرأة المتعلّمة أن يكون لها دور بارز فى الحياة الثقافية مثل الاهتمام ببعض الهوايات المفيدة والتزود بالثقافات المختلفة وحضور ندوات الفكر والأدب ، وقد كانت المرأة العربية فى العصر الجاهلى ترتاد مجالس الأدب ومنهن النابغات مثل الخنساء الشاعرة وأم جندب التى حكمت فى مناظرة بين امرئ القيس زوجها وعلقمة التميمي . فالاجدر بالمرأة الجامعية ان تهتم بالثقافة والأدب ولا تنتظر للثقافة على إنها ترف لا مبرر له ولا حاجة اليه

نشرت بجريدة صوت المنيا - مارس ١٩٩٣ .

(نبت شيطاني .. ليس شعرا !!)

يا زمان الشعر هلا من رجوع - كنت لحناكم تغنى فى الربوع
ذكرنى هذا البيت المعاصر ببيت آخر لفارس بنى حمدان يقول فيه :
الشعر ديوان العرب أبدا وعنوان الأدب .

هكذا كان الشعر عند العرب رمز الفصاحة والبيان ومصدر الفخر
والإعتزاز - فيه تتجلى مواهبهم وتشتعل قرائحهم وتتدفق معانيهم فيه
يحيون أفراحهم ويمجدون انتصاراتهم ويمدحون ملوكهم ويفأخرون
بأقوامهم ويرثون موتاهم ويتغزلون بحبيباتهم وبه يصيغون حكمهم
وأمثالهم وبه يستشهدون فى خطبهم وأقوالهم .

هكذا كان الشعر عند العرب منذ أن وجد الشعر وقصدت القصائد .
وتناقل الشعر وتوارث بين العرب وكل جيل يجدد ويطور ويضيف
لهذا الميراث الخالد الذى عشقه العرب فراحوا يتغنون به فيطربون
ويطربون .

فماذا أصاب الشعر فى عصرنا الحافل بالمتناقضات ؟!
لقد تحول الشعر من الفصاحة إلى الركافة ومن البيان إلى الألغاز
ومن الرفعة إلى الانحطاط . وذلك بفضل الأدعياء والحواة

والمتاجرين الذين نصبتهـم بعض الجهات شعراء فملأوا الساحة ضجيجا ونعيقا وعاثوا فى الشعر فسادا بينما أشياعهم يصفقون لهم ويباركون خطاهم . لأسباب عديدة بعضها ظاهر جلى وبعضها باطن خفى . وكانت الضحية هى الشعر العربى . وكانت النتيجة هى انصراف القارئ والسامع عن هذا العبث المسمى شعرا . والغريب أن هؤلاء الأدعياء رفضوا كل قوانين الشعر وضوابطه وهدموا أصول الفن جميعها وتمسكوا فقط باسمه فهم مصرون على تسمية كتاباتهم العجيبة المريبة المبهمة شعرا !! غير أن استقراء التاريخ يؤكد أن هذه الحركة الهدمية سوف تنتهى حتما ولا محاله . لأنها بناء بغير أساس . ولأنها نبت شيطانى لا جذور له بينما دوحة الشعر الأصل الضاربة بجذورها فى عمق التاريخ والوجدان العربى تملك مقومات البقاء حتى وإن نفضت أوراقها فسوف تعود إلى الاخضرار . ويعود زمان الشعر الجميل .

نشرت بجريدة الزمان ١٢/٤/١٩٩٩م.

(الشعر وفوضى المؤتمرات)

بين الحين والآخر تطالعنا الصحف بخبر صغير عن قرب انعقاد مؤتمر شعري على مستوى العالم العربي في مصر وتمضى الأيام وينعقد المؤتمر وينفض المولد والشعراء في كافة اقاليم مصر لا يدرون عنه شيئاً وكان الأمر لا يعنيه . وأقرب مثال على ذلك ما حدث في مؤتمر الشعر الأخير المنعقد والذي لم نسمع عنه إلا ما يحظ باهتمام الاعلام ولم تحفل به الصفحات الأدبية في الصحف والمجلات مما يشير إلى فشلة الذريع في تحقيق أى أهداف ثقافية أو أدبية سواء على المستوى المحلى أو القومى . والسؤال الذى يفرض الآن . كيف يتم اختيار المبدعين المشاركين في المؤتمر ؟ وعلى أى أساس يكون الاختيار ؟ وما هى قواعد التمثيل فى المؤتمرات والمهرجانات ؟ للأسف الشديد أن واقع الحال يقول أن التمثيل والاختيار لا يتسم بالموضوعية على الإطلاق ولا توجد عدالة فى توزيع الأسماء المختارة على المؤتمرات المختلفة إذا كان المجال لا يتسع لجميع المبدعين المختارين . وبإمكاننا استنتاج : أن الاختيار يتم بناء على العلاقات الشخصية والمجاملات والتوصيات الخاصة

بالإضافة طبعاً إلى اختيار أسماء معينة تتمشى مع التيار الذى يتبناه القائمون على تنظيم المؤتمرات وهؤلاء الذين يتصدرون الساحة ولا يسمحون لأحد أن يزاحمهم لقد افسدوا حياتنا الثقافية بسوء اختيارهم المتعمد لأسماء لا تمثل الشعر فى مصر ، والدليل على ذلك أن هذا المؤتمر الأخير لم تمثل فيه المراءة المصرية الشاعرة فقد اقتصر التمثيل على اثنين فقط بينما استبعدت الاصوات النسائية الجادة والمبدعة حقاً . وإنى لاتساعل فى عجب كيف لاتدعى شاعرة فى حجم جليظة رضا او نور نافع او علية الجعار او وفاء وجدى أو فاطمة السيد او نجاح شاور الخ ... هذا على سبيل المثال لا الحصر . ان مصر حافلة بالشاعرات المجيدات ولكن يبدو أن المسئولين عن مؤتمرات الشعر يتعمدون تجاهل الاصوات الأصلية الجادة بينما نراهم حرصين كل الحرص على تقديم كل ما هو مبتذل ورخيص مؤثرين من يسعون إلى الشهرة بكل الوسائل والنتيجة أن يخرج ضيوفنا ويعلنون انة لا يوجد شعرا فى مصر ماذا يريد المسئولون بهذا البعث ؟ ولمصلحة من يعمل هؤلاء ؟ ولأمالك الا أن أقول أيها الناس اتقوا الله فى دينكم ووطنكم وحسبنا الله ونعم الوكيل ومازال للحديث بقية

نشرت بجريدة السياسى المصرى ١٥/١٢/١٩٩٦م .

(قصيدة النثر وهبوط مستوى الشعر)

كان للكتابات الجديدة التى يسميها اصحابها بقصيدة النثر تأثيرا سلبيا على الشعر العربى بمعنى أن الشعر العربى لم يفد منها بقدر ما أضر..

فهذه الكتابات التى يجاهر اصحابها بأنهم اتوا بمالم يستطعه الأوائل ليست فى الحقيقة سوى حركة هدامة تهدف إلى القضاء على الثقافة العربية المتصلة بالتراث الحضارى للقومية العربية والأمة الإسلامية .. فهم يجنحون إلى الغريب حتى ليقال عنهم أنهم مجددون والتجديد بالطبع أمر مشروع بل ومطلوب ولكن التجديد يجب أن يكون للافضل بمعنى ان يهدف إلى الإصلاح والبناء لا التخريب والهدم .

فالتجديد والتطوير ارتقاء لاهبوط ولعل ما تراه الآن من اسفاف وابتذال وهزل بما يمثل خروجا عن كل المعايير الفنية والخلقية على السواء مما دفع الجمهور إلى الانصراف عن الشعر والأدب يدلنا بوضوح على تهافت هذه الحركة الخبيثة التى أسئسى خطرها فى حياتنا الادبية والثقافية .

والمتتبع لهذه الكتابات الغربية يهزل مما حفلت به من غموض وإيهام
لامبرر لهما .. واصحاب هذا الاتجاه ما برحوا يفاخرون في نرجسية
شديدة بأنهم مفجرو اللغة بينما هذا التفجير الذى يزعمونه يعد تحطيما
للبناء اللغوى والتركيب البلاغى وأيضاً لاساسيات الفن وأصوله كما
أن الغموض الذى يغفلون به كتاباتهم نجح فى شئ واحد وهو قيام
ستار بينهم وبين الملتقى وبذلك فقد الشعر دورة كمؤثر فعال فى
ضمير المجتمع ووجدانه وفقدت اللغة بالتالى دورها كاداة للتوصيل
والتواصل .

ومما يزيد الأمر سوء أنهم يكتبون ويتحدثون من موقع ارهابى بمعنى
انهم يرجعون عدم فهم كتاباتهم المبهمة إلى جهل القراء والنقاد على
السواء .

وفى هذا المقام يحضرنى تعريف لاساننا مصطفى سويى فى دراسته
عن (الأسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر) يقول فيه (أن القصيدة
هى رسالة من الانا إلى الآخرين فاذا كانت القصيدة هى رسالة من
ذات الشاعر إلى الملتقى أليس من البديهي أن يتحدث الشاعر إلى
جمهوره بلغة يعرفها حتى يستطيع أن يفهم مضمون الرسالة ؟

إن المبدع الحقيقي لا يتنكر لتراث أسلافه ويفخر بأنه نبت شيطاني
أننى أدعو كل صاحب قلم غيور على تراث أمته وقيمتها الأصلية أن
يتصدى لهذه التقاليع المستوردة التى تتنافى مع قيمنا وأدواقنا ومبادئنا
بصفة عامة حتى لا يشوه تراثنا العربي وأصالتنا .

نشرت بالسياسى المصرى ٤/٨/١٩٩٦م .

لمصلحة من هذا البحث ؟

فى كل يوم تطالعنا المجلات التى تصدرها مؤسساتنا الثقافية وهى حافلة بالقصص والاشعار الحديثة كما يسميها أصحابها الذين يعتقدون أنهم هم وحدهم الأدباء وكتاباتهم هى وحدها الأدب.

والواقع ان من يقرأ هذه الكتابات المسماة بالأدب هم أصحابها فقط .

وبالإمكان التحقق من ذلك بالرجوع إلى أرقام التوزيع وإذا حاول بعض القراء المجتهدين أن يقرأ هذه الأعمال على مضض لسبب ما مستعينا بالصبر فانه لن يجد إلاكل ما هو قبيح وفج حتى أنني أقترح

ان تسمى هذه الكتابات بالأدب واتحدى من يجد عددا واحد من

مجلاتنا الموقرة المهمة (بالثقافة والإبداع والشعر وأخبار الأدب

وأحواله) يخلو من هذه النماذج المشينة .

إلى هذا الحد من التردى والاسفاف وصل حال الثقافة والأدب على

أيدى القائمين على النشر فى هذه المجلات والسلاسل من المسؤولين

والمشرفين من تردى فى القيم الأخلاقية وانقسم الجمهور إزاء هذا

الاستهتار إلى فريقين فريق مازال يناضل وسط هذا الدمار ويتصدى

لهذا البعث ويبحث عما هو أصيل وجاد بين الضباب والركام وفريق

انصرف عن القراءة والسؤال الذى يطرح نفسه الان لمصلحة من هذا
البعث؟! وكيف تتفق أموال الدولة فيما يضر بوجودها وكيانها . وابن
اللجان التى تفحص وتتقى ولماذا نروج للفساد وندعو له ؟ ولماذا
التعظيم على الإبداع الجيد ومحاربتة مع أنه موجود ؟!! هل هذا
الوضع مقصود لتدمير هويتنا وإذا كان الأمر كذلك فهل فقدنا
الإحساس بهويتنا ؟! إن المنتبغ للإذاعات الأجنبية والعربية يستمع إلى
أشعار موزونة مما يؤكد أن هذه الموجه الضبابية سوف تنتهى كما
حدث لمثيلاتها على مدار التاريخ

نشرت بالسياسى المصرى ١٢/١٠/١٩٩٧ م .

هل ما يكتب الآن يسمى شعرا ؟

لعل الناظر إلى واقعنا الثقافي يملكه العجب مما تموج به

حياتنا

الثقافية من تيارات غريبة غامضة لا تعرف هويتها ولا يدركونها .
والمؤسف حقا أن من يثيرون الزوابع لا يعرفون اتجاهات الرياح .
إنهم يتحركون فوق خريطة لا يعرفون حدودها ولا يفهمون طبيعتها
ومع ذلك يصرون على محاولة السيطرة عليها والتحكم في مقدراتها
فيجلبون لها ما شاءوا من نباتات غريبة لا تثمر إلا الحنظل أو لا تثمر
شيئا جاهلين أو متجاهلين بطبيعة التربة غافلين أو متغافلين عما
يحدثونه من دمار في صرح تراثنا الثقافي .

ولعل أبشع ما أصاب الشعر من داء هو ذلك الاتجاه الغريب
الشاذ المتناقض وأعنى به ما يسمى بقصيدة النثر - ولست أدري
كيف يكون النثر قصيدة ؟! فالشعر أو النثر كل منهما جنس أدبي
مستقل له أصوله ومجاله ولا ينبغي الخلط بين الأجناس الأدبية .
وأصحاب هذا الاتجاه يجردون الشعر من أصوله تماما بحجة
التجديد ويتبعون أنماطا أوربية غريبة وهي إن صلحت في لغتها قد لا

تصلح في لغتنا . غير أنهم في أكثر الأحيان يستوردون من النظريات والاتجاهات الغربية ما أستهلك بالفعل وأنتهي دوره (وبطلت مودته) ومما هو معلوم بالبديهة أن كل علم أو فن أو حرفة أو صناعة لها أصولها وقوانينها - فلماذا نجرد الشعر بالذات من قوانينه بحجة أنه قيود تعوق حرية المبدع .

إن هذه القيود المزعومة هي أصول الفن وإذا جرد منها أصبح كلاما عاديا في متناول الجميع فأبي فضل للمبدع . بل أين هو الإبداع إذن ؟!

إن الفن الذي يقوم علي أصول راسخة وقواعد متينة مثل الشجرة الشاهقة في العلاء الضاربة بجذورها في التربة . فهي تملك مقومات البقاء حتى وإن نفضت أوراقها - فسوف تعود للاخضرار . وهي بذلك تختلف عن الطحلب الطافي الذي لا يملك جذور تربطه بالتربة فتتقاذفه الأمواج ويدفع به التيار أنى يشاء ثم لا يلبث أن يتحلل ويتعفن . والغريب أن أصحاب هذه الاتجاه يتكبرون لكل قواعد الشعر وأصوله ومميزاته وخصائصه . و يتمسكون باسمه ويصررون علي تسمية تلك الكتابات الغربية المريبة شعرا . فلماذا هذا الإصرار ؟!

ولماذا لا يبحثون عن تسمية جديدة لكتاباتهم ويتركون الشعر
للشعر ؟

وليت الأمر يتوقف عند حد الشكل أو القالب الفني ولكن
الحدثة كمذهب فكري يتعارض مع المقدسات ويسعى إلى تدمير القيم
. وليس أدل على ذلك من تلك الإشارات الجنسية الفاضحة والصريحة
والمقززة التي تحفل بها كتابات الحداثيين وتشيع على ألسنتهم .
والنتيجة المؤكدة لاستمرار هذه التيارات هي الإضرار باللغة
وهي - أي اللغة - ضمير الأمة ووجدانها وتراثها لأنها من أهم
مقومات الأمة ومحددات القومية ومن أظهر عوامل توحدها .
وإذا كانت الأمور تقاس بنتائجها . فلنا أن نتأمل ما وصل إليه
حال الشعر على أيدي هؤلاء العابثين من انصراف الجمهور وانعزال
المبدعين والنظر إلى الشعر - من العامة - على أنه هوس ومضيعة
للوقت . فسقطت مكانة الشعر وهيبته بعد أن كان الشعر والشاعر من
مفاخر الأمة .

نشرت بالسياسى المصرى ٢٣/٥/١٩٩٥ م .

(١) خوله بنت الأزور

الشاعرة الفارسية

يخبرنا التاريخ أن المرأة العربية كان لها دور بارز في الحياة العامة وكان لها حضور قوى في ساحات المجتمع .
ونتوقف الآن أمام شاعرة مجيدة وفارسة فريدة هي خوله بنت الأزور الكندية .

وقد شهد لها التاريخ الإسلامي بمواقف مشهورة تدل على صلابتها وبسالتها - كانت خوله كما تحكي سيرتها بارعة الجمال وفائقة الحسن ورغم هذا لم يشغلها جمالها مثل عامة النساء بل شغلتها البطولة والفروسية وتجلي ذلك واضحاً حينما أسر أخوها ضرار بنى الأزور الكندي في موقعة أجندين التي دارت رحاها بين العرب والروم ولم تستسلم خوله لهذا الخطب بل عازمت علي تخليص شقيقها ومن معه من الأسرى العرب وحينما علمت أن خالد بن الوليد سيخرج في طليعة من جنده فما كان منها إلا أن جندت فرقة من الفدائيات

المقاتلات من نساء قومها وقامت بتدريبهن ثم هجمت على معسكرات
الأعداء ضمن قوات خالد بن الوليد ودخلت في صراع طويل مرير
وهي ملثمة حتى ظنها بعض الجند خالدا نفسه وبعد قتال مستميت لهذه
الكتيبة النسائية العربية بقيادة خوله بنت الأزور تمكنت من الانتصار
وإحراق الهزيمة بجند الروم وتخليص الأسرى العرب مما دفع جنود
العرب إلى الإعجاب الشديد ببسالة هذا الفارس المثلث فأحاطوا به
وناشدوه أن يكشف عن أسمه ويرفع لثامه فلما أكثروا عليه وكان بينهم
خالد أمير القوم أجابت قائلة : " أيها الأمير أنني لم أعزف عنك إلا
حياء منك فأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وإنما حملني علي هذا
أننى ممزقة الكبد زائدة الكمد فقال خالد بن الوليد من أنت قالت أنا
خوله بنت الأزور وعادت إلي مضارب قومها مزهوة فوقفت تنشد
فيهم :

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر
وحينما أسر ضرارا مرة ثانية في مرج دابق قررت أن تخلصه كما
فعلت من قبل وقادت فرقتها النسائية إلى إنطاكية ببلاد الروم حيث
سجن ابن الأزور وتمكنت من فك أسره . وحب المرأة العربية لشقيقها

ثابت ومشهور ولعلنا لا ننسى مرثي الخنساء في أخويها صخر
ومعاوية وهنا تحكى خوله مشاعرها نحو شقيقها فنقول أثناء غيابه في
الأسر :

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء لكننا وقفنا للوداع وودعنا
لقد كانت الأيام تزهو لقربهم وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره وأفجعه ماذا يريد النوى منا
والقارئ لسيرة هذه الفارسة الشاعرة الفريدة يدرك أنه أمام سيدة من
طراز خاص فيقدر ما تبدى في ميدان القتال من قوة وصرامة
وشجاعة وبسالة بقدر ما تبدى في ميدان البيان من مشاعر عذبة رقيقة
تفيض وداعة وحميمية وتبرز فيها اللمسة الأنثوية الحانية مثال ذلك
تلك المقطوعة الشعرية التي تحكي ذكرياتها مع شقيقها الغالي وقد
نظمناها عندما كان أسيرا وتقول فيها :

ذكرت ليالي الجمع كنا سوية ففرقنا ريب الزمان وشئتنا
لئن رجعوا يوما إلي دار عزمهم لثمننا خفافا للمطايا وقبلنا
سلام علي الأحباب في كل ساعة وإن بعدوا عنا أو منعوا منا

ومن صور بسالتها التي لا تتسى موقفها حيث أسرت مع بعض نساء قومها في موقعة صحورا . راحت تخطب في بنات ونساء قومها وتثير حماستهن وتبث فيهن روح المقاومة والتحدى ولم يكن لديهن سلاح للدفاع عن أنفسهن وهن أسيرات في خيام المعسكر - فأشارت عليهن بخلع أعمدة الخيام وأوتادها وكانت خططها الهجوم دفعة واحدة في تماسك وصاحت فيهن صيحة واحدة كالحلقة الدائرة وتمكن من كسر سيوف الحراس وتحطيم رماحهم وبعد قتال مستميت وبطولة نادرة تمكنت خوله ومن معها من الفرار من الأسر والعودة إلى ديار العرب وإنقاذ نساء قومها من أيدي الروم .

وبعد فهذه صفحة من حياة شاعرة وفارسة عربية لتدلك علي أن المرأة العربية كان لها جولاتها وصولاتها في مجال الفروسية والأدب .

وهذه خوله بنت الأزور الكندية فارسة الشاعرات وشاعرة الفارسات نموذجا مشرقا ومشرفا للمرأة العربية .

نشرت بجريدة العروبة ١٨/٦/١٩٩٦ .

-رحلة على صفحة النيل -

-(نهر النيل)

النيل هذا النبع الخالد الزاخر بالحياة -الدافق بالخصوبة -إنه شريان مصر النابض بأكسير الحياة .ينساب في رقه ويمضي في هدوء ويسري في وداعة .

وحيثما تأمله في سيره من الجنوب إلى الشمال يضمه شاطئاه وتحيطه خضرة الأعشاب وظلال النخيل وتحفه الحقول والحدائق . وأرقب سطحه اللامع بإشراقه الوجود فتتهادى على صفحته قوارب الصيد وسفائن السفر ومراكب الرحلات أشعر أنني أولد معه كل يوم لأنه يشعرني بالتجدد والإستمرار .

في واديه الخصب صاغ أجدادي وأبائي حضارتهم الرائدة التي أنارت الكون وبددت ظلمات الجهل وعلمت المدنية لشعوب كثيرة . لقد تجلت عبقريتهم الفريدة على ضفافه الوارفة وجاءت علومهم وفنونهم خلقا عبقريا فريدا على غير مثال سابق .

-(الفنادق القائمة)

على ظهر أحد المراكب الكبرى التي أقلتني من القاهرة إلى أسوان في
رحلة نهريه أستغرقت أسبوعا كاملا -وقفت أتأمل النيل عند أسوان-
وشعرت أن في كل جزء من بلادي يبدو النيل في صورة متميزة
وجمال خاص . لكم تؤثرني هذه الصخور الغربية الألوان إنها تبدو
كهياكل لكائنات غريبة رابضة في قلب النهر لحراسته .
ولكم تجذبني هذه الجزر الخضراء واغبط ساكنيها -أبناء النيل-الذين
تنام عيونهم وتصحو على مرآة وتطرب آذانهم لسماع أصداء الموج
يداعب أو يشاكس القوارب والأشعة وقد استحالت هذه الجزر أو
بعضها إلى مناطق سياحية تعلوها المنشآت الضخمة وهنا يتعانق
الماضي العريق مع عصر الفضاء وحضارته الحديثة لست أنسى ذات
ليلة وأنا أجلس في صالة الحفلات داخل السفينة السياحية أوزوريس
وأمامي أفواج من السائحين يتراقصون على إيقاع موسيقي صاخب
ويلبسون أحدث الأزياء .
ولصقت وجهي بنافذة السفينة فرأيت بعض أبناء الجزر البسطاء
ينظرون إلى السفينة في انبهار. يدفعهم فضولهم إلى محاولة معرفة ما
يدور بداخلها.

كانوا يدققون النظر ولاشك انهم رأوا أطراف الراقصين تتمايل من خلال زجاج النوافذ . وربما تسربت إلى أسماعهم موسيقى [الديسكو] الصاخبة .

كان ذهني شاردا عن حولي داخل السفينة . كنت أفكر في هؤلاء البسطاء الذين لا يفصلهم عن السفينة سوى بضعة أمتار من المكان ولكن المسافة الزمنية بينهم وبين من بداخلها تقدر بمئات السنين ذلك لأن من بداخل السفينة أناس من عالم آخر غير عالمهم . يعيشون في زمان آخر غير زمانهم .

- (النيل والمعابد)

كان سير السفينة يتسم بالهدوء والرقّة مثل مياه النيل . وفي مواضع محددة كانت السفينة ترسو وينزل الركاب جميعا مصريون وغرباء ويتجهون الى موضع معين قريب من الشاطئ - هو في اغلب الأحيان معبد فرعوني - واعتقد أن هناك أسباب وجيهة جعلت أجدادنا القدماء يقيمون معابدهم بالقرب من النهر أو على ضفاف هذا المعبود القديم . إن معابد الفراعنة شاهد إثبات يدل على عظمة هذا الوادي ونبوغ أبنائه وسمو حضارته .

وقفت أتأمل قاعات المعابد وأعمدتها وتماثيلها وجدرانها أنها كتاب
مفتوح وسجل حافل يحكي بالحروف والصور تاريخ حياة لأقوام عظام
فنوا وبقيت آثارهم لتدل عليهم .حتى ليصدق فيهم قول الشاعر :—
تلك آثارنا تدل علينا فانظرو من بعدنا الآثار
هذى الآثار تحكي للدنيا عن أمجاد تلك الممالك من علوم وفنون
وحكمه وجهاد وسجال .

والمأمل في حضارة الفراعنة يدهشه شئ غريب تميزت به عن معظم
الحضارات القديمة ألا وهو وضع المرأة المصرية في هذا المجتمع
وفي هذا الزمان وما بلغته من تكريم وتعظيم واحترام كأم وزوجة
وأبنة .

في تاريخ مصر الفرعونية اعتلت هواء العرش أكثر من مرة وذكر لنا
التاريخ أسماء ملكات شهيرات كانت لهن بصمات مميزة حفظها
التاريخ وما زال يرويها حتى الآن .

وفي آثار مصر ترى صور النساء مرسومة على جدران المعابد
وتماثيلهن ومنصوبة داخل القاعات بجانب الرجال ولم نعرف حضارة
اهتمت بأزياء المرأة وادوات زينتها كما عرفنا عن الحضارة المصرية

فهذه المكانة السامية لم تبلغها المرأة قط في الحضارات القديمة
الآخري بل ظلت المرأة منبوذة مهضوم حقها إلى أن جاء الإسلام
فرفع من شأنها وكرمها أعظم تكريم .

المرأة بين الإبداع والدائرة المخلقة -

حول المرأة - والمرأة المبدعة بالذات - توجد دائرة غير مرئية وهذه الدائرة تتألف من سلسلة حلقاتها من القيود الخفية . وقد يتساءل البعض أى قيود تلك فى هذا العصر الذى حصلت فيه المرأة على أرقى الشهادات ووصلت إلى أعلى المناصب . وتساوت بالرجل أو كادت فى الحقوق الدستورية . فأين القيود إذن ؟

والسائل معذور بالطبع ، لأنه يتعامل مع القيود المادية ويتوهم أن الأغلال والأصفاد هى ما يوضع فى المعصم والساق فقط ناسيا تلك القيود الخفية التى تكبل العقل والوجدان وتحجر على الرأى والمشاعر - الحرية إذن ليست حرية الجسد خارج الأسوار فقط ولكنها حرية الفكر والرأى . وما دام حديثنا عن المرأة . فلعل المرأة المتقفة . والمبدعة بالذات . أكثر إحساسا بالحرية وأكثر تقديرا لقيمتها وبالتالي فهى أكثر معاناة من القيود - حيث لا يتاح لها حرية التعبير عن أفكارها ومشاعرها ويستتكر عليها مجتمعها الصغير أن تكتب الا ما يوافق هواه ويعزز آراءه وإلا تدخل مقص الرقابة ليحذف ما شاء دون أن يكون لها حق الاعتراض .

والمؤسف حقا أن تقدير ما يجوز وما لا يجوز يتم جزافيا بنفس الطريقة التي تقدر بها قيمة الضرائب على مجالات الأنشطة المختلفة في المجتمع . دون النظر إلى أى اعتبارات للقيمة الفنية أو معيار الصدق ودور الخيال أو الجانب الجمالى داخل العمل الإبداعي - فمقص الرقابة لا يملك الموهبة أو الخبرة وليس لديه حسا أدبيا يعينه فى مهمته . وهكذا تتحرك المرأة المبدعة داخل دائرة مرسومة لها مسبقا . تلك الخطوط المحددة التى لا تستطيع تجاوزها مهما حاولت الفكاك والا تدخل مقص الرقابة ليبتز ما لا يورق له بحجة المحافظة على التقاليد وقد تضيق الدائرة أو تتسع قليلا أو كثيرا ، ولكنها موجودة ومحكمة والخطر الذى يستهدد كيان المبدعة ويتأهب للانقضاض على خصوبة خيالها وقتل موهبتها هو أن السلطة المفروضة عليها تنتقل بمرور الوقت من مجتمعها الخارجى إلى داخل أعماقها فتمتص هذه السلطة وتنتقل القيود من المجتمع إلى النفس . ولست أنكر أو أكابر فى أن بعض هذه القيود قد يكون مفيدا فى بعض الجوانب - وخصوصا فى بلد محافظ له قوانين وأعرافه المستمدة من تعاليم السماء وهى واجبة الاحترام دون شك . ولكن المبالغة فى

الالتزام القيدى يكون عادة على حساب الإبداع فإذا كانت المبدعة تميل بطبيعتها إلى الإستسلام توقفت أو توارت إلى الهامش - لأن المبدع الحقيقى بداخله قدر من التمرد على المؤلف - وإذا كانت تتسم بروح التحدى والإصرار إقتناعا بموهبتها وثقة فى نفسها ولديها قدر من وضوح الرؤية المستقبلية لدورها كمبدعة واصلت دورها ونشرت إبداعاتها وقد تضطر لاستئصال أروع ما فيها من مشاعر سامية وأصدق ما فيها من عواطف نبيلة . لا لشيئ إلا إرضاء لتقاليد المجتمع .

وهكذا تظل المرأة المبدعة تتحرك داخل الدائرة تنشد الحرية وتحلم بالفكاك من القيود التي تكبل خيالها في محاولة للانطلاق إلى العالم الرحب .

ولكن حتى هذا الانطلاق محفوظ بالمخاطر ما لم تتسلح المبدعة بالوعي والرزانة والتمسك بأهداب القيم العليا لا التقاليد البالية - وحينئذ بإمكانها أن تتطلق وتحلق في ثقة وامان دون الخوف من السقوط .

وقفة على بحيرة قارون

ذات صباح باسم مشرق بالامل وقفت أتأمل سطح البحيرة
الهادئ وقد انعكست عليه أشعة الشمس فكسته بخلاله ذهبية . يتراقص
بريقها مع تتابع الموجات في خفة ورشاقة ووداعة متناهية كان الموج
يعزف سيمفونية حاملة . تردد أصداؤها جنبات المكان فنتصاعد
نغماتها الرائعة مع خفقات النسيم حتى تصل إلى عنان السماء .
كان ترجيع أسراب السماء يملأ الفضاء وكأنه يسبح للخالق بانشودة
خالدة . تطرب لها الأذان وتملأ الفؤاد بهجة وحبورا .
على امتداد البصر تبحر المراكب الصغيرة في وثبات قصيرة تدفعها
المجاديف التي يحركها غلمان مدربون في براعة فائقة ومهارة فريدة
. وعلى أبعاد شاسعة تظهر أطراف وظلال أشجار الزيتون والفاكهة
فتكسب المكان روعة وبهاء .
يا إلهي . . . ما أروع هذا العرس الطبيعي الساحر الذي يتجلى في
صورة الكون . وما الكون سوى كتاب مفتوح يحكي قصة الخلق -
إنه الوجود الحي المسجد الحافل بالآيات العامر بالصفات كان النسيم
يداعب سطح البحيرة ويحاول أن يستشير فيستجيب الاخير في

انتفاضة خفيفة وانحناء لطيفة فتلقى الأمواج بنفسها إلى الشاطئ بطيئة
متناقلة ثم ترتد في رفق شديد وهدوء أسر شيئاً فشيئاً زادت سرعة
النسيم فزادت بالتالي سرعة الأمواج وتتابع اندفاعها وتلاطمها
واستحال همسها إلى ضجيج وصخب .
حينئذ كان قرص الشمس يميل إلى المغيب وقد أوشك على السقوط في
الجانب الغربي للبحيرة . درة الفيوم الفريدة .
تلاشت أشعة الشمس وحل محلها لون الشفق الوردي وقد اصطبغت به
صفحة الأفق ثم انعكست على سطح المياه فبدأ كنضار سائل تطفو
فوقه حبيبات الياقوت والمرجان في لوحة بديعة التكوين .
وأوشك الظلام أن يعم المكان فبدأ الناس ينصرفون عن الشاطئ
عائدين إلى حيث أتوا وخيم الفراغ على المكان وتخلص الشاطئ من
أعبائه وهمومه اليومية .
فأخذت الطبيعة في ممارسة لعبتها المفضلة .
فعزفت الأمواج وهزجت الرياح وناحت السواقي ورقص النخيل
وصفقت الغصون وضاعت الورود بعطرها وهمست الأزهار وباحت
بسرهما للمدى . ثم بزغ القمر وطفق ينظر على استحياء ثم ارتفع بعد

أن نشر ملاءته الفضية اللمعة على وجه الطبيعة فزادها فتنة
وملاحة.

وأسدل الليل أستاره على عرس الطبيعة في انتظاره قدوم الفجر ليكشف
اليها بشرى صباح جديد . معلنا بداية النهار .

حرية الابداع المفترض عليهما

يتفق الناس عادة على المبادئ العامة ، لكنهم يختلفون على التفاصيل المتعلقة بهذه المبادئ ونضرب مثالا لذلك بما كان يفعله فيلسوف اليونان الكبير سقراط وهو يحاور الناس فى الاسواق ، فكان يبادرهم بالسؤال عن أحد هذه المبادئ مثلا هل تحب العدل ؟ فيكون الجواب بالايجاب فتتابع أسئلة سقراط التهامية ، ما هو العدل من وجهة نظرك وكيف يمكن تطبيقه إلى آخره ، فتختلف الاجابات وهكذا يتفق الناس فى المبادئ العامة ويختلفون فى الفروع - ذلك لأن هذه المبادئ أو القيم العليا كما نسميها قيم معنوية معيارية وليست أشياء مادية ملموسة يمكن إخضاعها لمقاييس محددة - فكلنا بالتأكيد نتفق فى حب العدل والصدق والحق والخير والجمال والسعادة والحرية إلى آخره ، ولكننا بالتأكيد سوف نختلف فى مفهومنا لهذه القيم وكيفية تطبيقها ، مثلا الحرية بصفة عامة قيمة عليا ضرورية لى يحيا الانسان كريما عزيزا ، وحرية الابداع بصفة خاصة ضرورة للمبدع حتى لا يفقد خياله أو تكبل أفكاره وهذا بالتأكيد يحد من إبداعه .نحن متفقون إذن

على أن حرية الإبداع ضرورة - ولكن - ما مدى استخدام هذه الحرية ؟ وهل هي مطلقة أم مقيدة ؟ وهل هي مسئولة أم غير ذلك ؟ ثم ما العمل مع من يسئ استخدام هذه الحرية ؟ في اعتقادي أن الحرية دائما مقيدة فلا توجد حرية مطلقة حتى في الغابات ولم تكن الحرية مطلقة في أى مجتمع قديم أو حديث ، ومن يريد أن يكون حرا مطلقا فعليه أن يعيش منفردا في عالم خاص به وليس داخل مجتمع له قوانينه وأعرافه وقيمه وعقائده وذلك لأن الفرد داخل المجتمع له حقوق وعليه واجبات وحرية تقف عند حدود حريات الآخرين الذين لهم نفس حقوقه ولا يحق له أن يجور عليها وكما يقول المثل السائر (انت حر ما لم تضر) فليس حرا في ان يضر بالآخرين والا اصبح لهم الحق في الاضرار به .

وحيثما يتعلق الامر بحرية الإبداع - فإنه من المفترض في المبدع أن يكون صاحب رسالة وصاحب قضية وأن يكون قدوة لأبناء مجتمعه ، ذلك لأن الكاتب والشاعر والأديب بصفة عامة وهبة الله ملكة القدرة على التعبير والإبتكار ، وبفضل هذه الموهبة الالهية وضعه المجتمع

فى مقام رفيع ومنزلة سامية يحضرنى بيت من الشعر لشاعر العروبة
على الجارم يقول فيه :

الشعر من صنع السماء فسمه - وحيا - اذا ما شئت - أو الهاما
ما أروع هذا السمو وهذه المنزلة الرفيعة لفن الشعر - ويمكن تطبيق
نفس المقولة على سائر الفنون الراقية ذات الغاية النبيلة ، اذن ينبغى
أن يكون المبدع ملتزما أخلاقيا تجاه مجتمعه الذى ينتمى اليه
،ولا يخفى تأثير المبدع على المتلقى وتجاه قارئه الذى يتوجه اليه
بالكتابة وخصوصا الناشئة فهو يشكل جزءا كبيرا من وجدانهم
وبالتالى يوجه سلوكهم فأما ان يسمو بهم وإما أن يقودهم إلى الهاوية .
الحرية اذا مسئولية ، والمبدع بالتالى مسئول عن ممارسة حريته ، لأن
ما يكتبه المبدعون هو انعكاس لنفوسهم من الداخل ويعبر عن
محتواهم الثقافى والفكرى والدينى ونظرتهم إلى الحياة بما تمليه عليهم
ميولهم ورغباتهم وتوجهاتهم . باختصار نتاج الاديب هو شخصية ،
لذلك يتجه علماء النفس إلى تحليل شخصيات المبدعين الراحلين
وتحديد سماتها من خلال تحليل كتاباتهم على اعتبار انها تمثلهم
فالانسان السوى لايقول الا ما يعتقد .

المبدع إذن مسئول عما يكتب وإعفاؤه من المسؤولية يعتبر إهانة كبرى له لأن القانون لا يعفى من المسؤولية سوى السفهاء والمجانين .
وإذا كان يحق للمبدع ان يتمرد على واقع ظالم أو مظلّم وأن يشيد عوالم جديدة من صنع خياله وأن يرتاد مناطق مجهولة فيكشف عنها وأن يسبح أحيانا ضد التيار فهذا حقه ، ولكن هناك ثوابت لا يجب المساس بها ولا تخضع لخيال المبدع - فليس من حقه أن يدس السم فى العسل كى يسقيه للقراء بدعوى حرية الإبداع .

المبدع اذا ملتزم باحترام قيم المجتمع وعقائده وبالتالي احترام مشاعر القراء ، وكما هو معروف أن الافكار ملك لصاحبها ما دامت داخل رأسه أو دفاتره الخاصة فإذا وصلت إلى الناس فهي ملكهم ولهم الحق فى قبولها أو رفضها بل لهم الحق فى نقدها وتحليلها والرد عليها واستحسانها أو استهجانها .

وهناك حقيقة اخرى يجب ان نعيها جيدا - وهى أن المبدع أى كان هو فرد من أفراد المجتمع ليس نبيا أو ملاكا وبالتالي ليس معصوما من الخطأ فقد يكون من بين المبدعين بعض ضعاف النفوس أو رقيقى الايمان أو غير الأسوياء وهناك أيضا الأدعياء والمنحرفون ومن لهم

شطحاتهم الخاصة أو حتى نزواتهم الخاصة فيصرون فى كتاباتهم ما
ينضح به نفوسهم المريضة من هلاوس وخزعبلات - والإناء ينضح
بما فيه - فهناك انسان تجد بداخله جنة وارفة الظلال مليئة بالازاهير
والرياحين وآخر بداخله غابة موحشة مليئة بالأشواك تسكنها الحشرات
والأفاعى ، وهذا الصنف الاخير من قال فيهم شاعر النيل :

وأديب قوم تستحق بنانه

قطع الأنامل أو لظى الإحراق

فى كفه قلم يمج لعبه

سما وينفثه على الأوراق

عريت عن الحق المطهر نفسه

فحياته تقل على الأعناق

إن مثل هؤلاء الناس الذين خانوا رسالة القلم الذى اقسم الله به قد
خربت ضمائرهم فاستهانوا بالقيم وعاثوا فسادا فى حياتنا الادبية
والتقافية يجب التصدى لهم حتى يعودوا إلى الصواب أو يلفظهم

المجتمع بعيدا فى زاوية النسيان بعد أن اختاروا بانفسهم هذا التردى -
ومن لا يتقى الشتم لا يشتم .

فارق كبير إذن بين حرية الإبداع وحرية العبث وبين الخيال المبدع
والخيال المريض .

وإنى لأتساءل فى عجب .

١- لماذا ندافع عن من يتناول على الله الذى نسبحه ونقدس له

ويسخر من عقائدنا التى نستشهد فى سبيلها ؟

٢- ثم ما هو الإبداع أو الابتكار الذى أتى به هؤلاء - هل هو
العرى والشذوذ وكشف العورات ونشر كل ما هو قبيح يحتاج
إلى موهبة ؟

٣- وأى نفع يرتجى يمكن أن يعود على الفرد والمجتمع من نشر
هذه الكتابات السوقية الهابطة شكلا ومضمونا ؟

٤- ثم لماذا ندافع عن الخطأ والمخطئين ولماذا نتكاتف ونتضامن
مع من يقدمون إلينا الولايم المسمومة بدلا من محاسبتهم ؟

٥- لماذا لا تكون لدينا الشجاعة على الاعتراف بأخطائنا والقدرة
على تصحيحها ؟ .

- ٦- وأخيرا هل مشروعنا الثقافي التتويري يكتمل ويرقى من خلال نشر الفواحش والردائل التي وصلت إلى المحارم وتجرات على الدين والاخلاق وسب المقدسات ؟
- ٧- هل نهضتنا الفكرية تحقق أهدافها وتؤتي ثمارها من تبنى مثل هذا العبث والاسفاف ؟
- ٨- لا اعتقد أن هذه الحرية المطلقة غير المسئولة ممكن أن تفود المجتمع إلى التقدم فهذا بالطبع يتنافى وأبسط قواعد المنطق والقياس .

نشرت بجريدة أخبار الخليج ١٢/١/٢٠٠٠ م .

ونشرت بجريدة الأعرام ١٤/٣/٢٠٠٠ م .

محمد اقبال شاعر وفيلسوف الاسلام

يمثل د. محمد اقبال علامة مضيئة في طريق الفكر الإسلامى بنظرة الثاقب وعقلة المستتير وشاعر يته الفذة . وأنكر أن معرفتى بفكر محمد اقبال بدأت وأنا طالبة بكلية الآداب قسم الفلسفة وعلم النفس . ومن خلال مادة الفلسفة الإسلامية فقد بدأت أقرأ لفلسفة الاسلام فى العصر الوسيط ثم العصر الحديث وأعجبت كثيرا بمقولة الكندى " لننظر فى تراث الأولين فنأخذ ما نراه حسنا ونرفض ما نراه رديئا وكان يوضح موقفه من بعض التيارات الإسلامية الراضة آنذاك لفكر الفلسفى برمته باعتبار أن أهل هذا الفكر ليسوا مسلمين وإن بعض مباحثه قد تتعارض مع العقيدة وكان إعجابى بفلسفة الإسلام الفارابى - ابن سينا - ابن رشد - وغيرهم يرجع إلى كونهم مبدعين ومفكرين وليسوا مجرد نقلة عن اليونانية لقد قدموا الشروح والتحليلات للفلسفات الوافدة باعتبارها تراثا إنسانيا ثم أضافوا إليها آراءهم ونظراتهم الخاصة بدون افتتان بهذه الفلسفات أو إنعزال عنها وبهذا صانوا الفكر الإنسانى من الضياع ونقلوه إلى غيرهم. وبعد حقبة الإزدهار هذه مر العالم العربى بخاصة والشرق الإسلامى بعامه

التدهور والرقود الفكرى والثقافى والتخلف العلمى كنتيجة للغزو الإستعمارى والاحتلال الأجنبى الذى استلب ثروات هذه الشعوب وقيد حريتها وحال بينها وبين الرقى والتقدم وما تبع ذلك من فرض السيطرة والوصاية على أبنائها عن طريق فرض فلسفاته عليها واستحال الشرق كله تقريبا إلى أم شتى غارقة فى متاعبها تنتظر من يوقظها من غفوتها وجاء القرن العشرون حاملا معه بوارد غضب وتمرد وثورة على المستعمر ولكن لم يكن للشرق فلسفة واضحة فى هذا الوقت وكان عليه أن ينتظر قدوم إقبال حتى يصوغ له فلسفة إسلامية مكتملة الملامح .

كان للعلامة محمد إقبال إطلالة نقدية على فلسفات الغرب وعرف قصورها من خلال إحتكاكه بأهلها إبان إقامته فى أوروبا فهى فلسفة مادية ذات جوانب نفعية دون النظر إلى القيم العليا أو المبادئ الإنسانية التى أقرتها الأديان فالفكرة النافعة عندهم هى المفيدة والمفيدة هى النافعة وإن أحلت حراما وحرمت حلالا وتصادمت مع كل القيم الأخلاقية - لهذا لم ينبهر فيلسوفنا المسلم محمد إقبال وهو

المؤمن المحصن بعقيدته بهذه الفلسفات التى تحمل روح الإستعلاء والإستلاب والإلحاد أحيانا وترتد بالانسانية إلى الدرك الاسفل من الدونية فراح يكشف زيفها وضلالها ويقدم البديل الصالح المستمد من تعاليم الإسلام الغراء فى وقت كان فيه الشرقيون المغلوبون على أمرهم مولعون بتقليد الغرب الغالب بيد أن معرفتى بشاعرية محمد إقبال لم تتضح بصورة واعية الا حين غنت له +سيدة الغناء العربى أم كلثوم قصيدته التى اشتهرت باسم (حديث الروح) والتى ترجمها ونظمها بالعربية الشيخ الصاوى شعلان - ومن ثم بدأت أهتم بمعرفة محمد إقبال الشاعر غير أن حاجز اللغة كان حائلا قويا يحجب عنى معظم إنتاجه فليس لإقبال مؤلفات بالعربية ولست أنا ممن يجيدون الأردية أو الفارسية ولذلك كانت علاقتى بفكر إقبال وشعره - ولا زالت - عن طريق الوسطاء من المترجمين والناقلين عنه جزاهم الله عنا خير الجزاء - فقرأت معظم ما ترجمه له د . الشيخ الصاوى شعلان ولقد أحسن الأديب الشاعر عبد اللطيف الجوهري صنعا حين ضمن كتابه - لحق والنهضة والجمال - قصيدتى إقبال شكوى وجواب شكوى - فأتاح بذلك الفرصة للكثيرين من القراء للإطلاع

على بعض روائع إقبال شاعر الإسلام . ويرى أ . عبد اللطيف
الجوهري إن إقبال لو لم يبدع غير هاتين القصيدتين لكفتاه كشاعر
مجيد . فتلك الروائع التى تحمل من السمو الروحاني والنقاء النفسى
والإيمان العميق ما جعل هذه النفس الشاعرة تتوجه بشكواها وهمومها
الثقيلة إلى الله ورسوله تدعوه إلى الاخذ بيد المسلمين وفى نفس الوقت
تدعو المسلمين إلى الوحدة والتأليف ونبذ الفرقة (فلن تبنى العلا
متفرقين) وهى فى مجملها دعوة إلى الإيمان الصحيح فهو حصن
الأمان لأتباعه (إذا الإيمان ضاع فلا أمان) والحديث عن علامة فى
حجم د . محمد إقبال الفيلسوف الشاعر والشاعر الفيلسوف يطول ولا
يفيه حقه . وما أخرجنا اليوم لمثل هذا الفكر المستنير فى مواجهة
العولمة او الهيمنة التى يراد بها محو هويتنا وخصوصيتنا وتسييد
وفرض ثقافة الغرب وفلسفته المادية وتبعاتها المدمرة للقيم والأخلاق
والتي لاتخدم سوى مصالح الاستعمارية ولقد كانت الندوة الرائعة
التي عقدت بمقر هيئة خريجي الجامعات بالقاهرة فى التاسع من
نوفمبر عام ٢٠٠٠ فرصة طيبة للتعرف والتذكير بهذا العلم الخالد من
أبناء الامة الاسلامية وما قام به من مجهودات كريمة لرفعة شأنها

والتقارب بين أبنائها وتحقيق الرابطة الإسلامية بين المسلمين ، فقد كان المسلمون الأوائل يهاجرون من أوطانهم فرارا بعقيدتهم فرابطة العقيدة من أقوى الروابط وهي التي تؤلف بين اتباعها لانهم يسقون من معين واحد هو كتاب الله وسنة رسوله (ولو انفقت ما فى الارض جميعا ما آلفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) صدق الله العظيم

ولقد ضمت هذه الندوة صفوة من السادة الأفاضل فى مقدمتهم سعادة السفير أنور كمال سفير جمهورية باكستان الإسلامية وسعادة الأستاذ احمد شفق هاشمى المستشار الصحفى بالسفارة والدكتور حازم محفوظ مدرس اللغة الأردية بجامعة الأزهر والأديب الباحث عبد اللطيف الجوهري والشاعر د. محمد حامد الحضيرى والشاعر أحمد عبد الهادى

و د. نبيلة اسحاق - والشيخ زكى خطاب الشاعر الموسيقى الذى تغنى بشعر اقبال وكاتبة هذه السطور إلى جانب بعض الإعلاميين والجمهور المحب لشاعرنا وفيلسوفنا محمد اقبال أن هذه الندوة وامنا لها لهنى لمسة وفاء لرجل أفنى حياته فى الدفاع عن قضايا أمته

ورفع مكانتها عاليا والأخذ بيد أبنائها إلى الطريق الصحيح وليتنا
نسلك هذا المسلك ونحتفى بجميع رموزنا من أعلام وعباقره أمتنا
العربية والإسلامية ونذكر بهم وبعطائهم حتى يكونوا قدوات صالحة
ومثلا عليا للأجيال الجديدة .

ويطيب لى فى نهاية كلمتى المتواضعة أن اتوجه ببعض الاقتراحات
إلى :

سعادة السفير الباكستانى فى القاهرة

- ١- (أقترح أن يقام هذا اللقاء سنويا فى مبنى السفارة وإن يعلن
عنه ويغضى إعلاميا ويدعى له المهتمون بفلسفة وأدب إقبال).
- ٢- أن تطبع مؤلفات إقبال باللغة العربية بعد ترجمتها وتوزع على
الحضور فى هذه الندوات أو تطرح للبيع بأسعار زهيدة.
- ٣- ويمكن تطبيق نفس الاقتراح على كل إعلام القارة الهندية حتى
نوجد نوعا من التواصل بين الشعوب الإسلامية فى كل بقاع
الارض وحبذا لو طبقت هذا الاقتراح جميع السفارات
الإسلامية الموجودة فى مصر و العالم العربى فهى بذلك
سوف تؤدى خدمة ثقافية وفكرية جليلة لإعلامها أولا

وللشعوب التى تخاطبها ثانيا فهذا من شأنه التقريب بين هذه
الشعوب فكريا ووجدانيا مما يساعد على توضيح الرؤية
وتبادل المعرفة وتوحيد الصف فى مواجهة أعداء الاسلام فلا
يجب أن يقتصر دور السفارات على الجانب
السياسى على أهميته.

وبعد فإنى اعتقد - أن مواجهة الغزو الثقافى الوافد علينا والذي
يهدد كياننا الفكرى والثقافى بل ويهدف إلى المساس بعقيدتنا
وتدمير لغتنا العربية باعتبارها لغة القرآن كتابنا المقدس لا يتم إلا
ببعث هذا التراث النبيل وتقديمه للناشئة حتى يظهر وجه الثقافة
الإسلامية نقيا أصيلا وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأن يجعل قادتنا
و مفكرينا ومبد عينا أحجار بناء لا معاول هدم - والسلام عليكم
ورحمة الله .

القيت هذه الحاضرة فى ندوة خاصة فى ذكرى الشاعر الفيلسوف
محمد اقبال اقيمته فى هيئة خريجي الجامعات بالقاهرة وحضرها
السفير الباكستانى احمد كمال ومستشارة الثقافى - ٢٠٠٠/١١/٩م

المناضل الرمز

ترجع معرفتي بالعالم أ . د / عبد الحميد ابراهيم الى عام ١٩٩١م حين التقيت به لأول مرة في قصر ثقافة المنيا حين كان يدير إحدى ندوات نادى الادب وكان حينئذ عميداً لكلية الدراسات العربية بجامعة المنيا .

وكنت أنا في ذلك الوقت حديثة عهد بالانضمام للنادى .

وكان د . عبد الحميد ابراهيم اثناء تقديمه للندوة يعطى دروساً في الأدب ويعطى توجيهات للناشئة من المبدعين .

وكان يغوص بنا في التراث ثم يعود للقضايا المعاصرة كل ذلك بأسلوب جذاب يخلط فيه الجد بالهز في معادلة يصعب على الكثيرين تحقيقها .

فالجد عنده لا يصل إلى الجهامة ، والمزاح عنده لا يقلل من وقارة وبهاتين الميزتين تستطيع ان تسمع إلى د . عبد الحميد ابراهيم دون ان تمل مهما طال حديثه .

كانت توجيهاته لشباب المبدعين وتصويب أخطائهم بعد القاء قصائدهم
أو قراءة قصصهم تتم برفق وبحنان أبوى دون إحراجهم أو إحباطهم
وبتشجيع يتناسب مع حجم مواهبهم .

وجاء دورى والقيت قصيدتى فصفق لى وعلق عليها باستحسان وأثنى
بصفة خاصة على سلامة الوزن واتقانى لعروض الشعر ، وبعد
انتهاء الندوة شكرته وقلت له ان لدى مجموعة من القصائد أريد أن
أصدرها فى ديوان ولكنى أخشى التجربة فقال : " ارسلها لى لقراءتها
فارسلتها له - ثم قابلته بعد ذلك بمكتبة وسالته عن راية فى الأشعار
التي أرسلتها إليه .

فقال : إن مستواها جيد وشجعنى على نشرها فطلبت منه أن يكتب
عنها دراسة ، فرحب بذلك رغم مشاغلة الكثيرة وكتب عنها دراسة
نقدية طويلة فى تقديمه لديوانى الأول - نبع الوجدان - .

اتسمت فى رأى الكثيرين بالموضوعية الشديدة التى لا تخلو من
التشجيع والحرص على الموهبة .

ومنذ ذلك التاريخ توقفت علاقتى باستاذى العالم الكبير والناقد المعروف والقائد النشط للحياة الأدبية فى المنيا .

بدأت اقرأ له واتابع نشاطاته المتعددة فكنت من أوائل المنضمين لجماعة التأصيل التى أسسها فى المنيا ومن الأعضاء الحريصين على حضور ندوة الوسطية بالقاهرة وكذلك أسند إلى الإعداد لندوة الوسطية بالمنيا فى السبت الثانى من كل شهر .

والحق يقال أن صالون د . عبد الحميد ابراهيم من أرقى صالونات الأدب فى مصر بما يطرحه من قضايا فكرية وثقافية هامة وبما يضمه من نخبة ممتازة من النقاد والمبدعين والمتقنين والمدافعين عن الهوية والحريصين على الارتباط بالجذور والتمسك بالاصالة مع التطور والانفتاح على العصر .

وهذا هو الدور الذى تصدى للقيام به د. عبد الحميد ابراهيم ومدرسته فى مواجهه حملات التغريب والإستلاب الفكرى والإستعمار الثقافى إيماناً منه بالعقيدة والوطن .

وبعد ... فانا لا اريد أن اتحدث عن مكانة د . عبد الحميد ابراهيم
العلمية والمناصب التي ارتقاها ومؤلفاته الكثيرة وما حصل عليه من
جوائز وشهادات وما يرأسه من لجان فكل ذلك كتب عنه وفيه زملاؤه
وتلاميذه وهم أقدر منى على تغطية هذا الجانب .

اما حديثى عنه فسيكون عن ملامحه الإنسانية واثرة فى الحياة الثقافية
وما يقوم به من دور هام فى حماية الهوية العربية والإسلامية لتقافتنا
وأفضل ان يكون حديثى شعرا .

علم على أعلى الزرى

نجم مضاء

يرنو إلى النيل المعبق بالخصوبة

والنماء

ولنخلة سمقت وصالت

فى السماء

لتقاوم الريح المحمل بالسموم

وبالفناء

يا أيها الرمز المناضل كالنخيل

على البقاء
متعمقا في تربة الوطن الأمين
ويعمق آلاف السنين
وبه ثبات الوائعين
وبهمة أعيت عقول الأدعياء
أستاذنا عبد الحميد زمانكم
إنى أراه يعوزه أمثالكم
ويعوزه من يملكون نضالكم
من لا يهابون المخاطر مثلكم
من يعشقون تراثهم
فى كبرياء
يا سيدى أبرز هويتك المليئة بالشجن
وأعلن بأن المجد حق للوطن
وأحشد قلوب الثائرين على المحن
أهل الاصاله
والوفاء

يا سيدى أنت الكفاح بلا كلل

لا يأس عندك لا ملل

فالعلم يصدق بالعمل

والحر يمنح

فى سخاء

يا سيدى - هذى غراسك أزهرت

ذا طلعتها غطى الحقول فنورت

ودنا القطاف لثمرها إذ أثمرت

أكرم به هذا العطاء

أكرم به

هذا العطاء

غيوم على وجه القمر

غيوم تحوم بوجه القمر فتحجب ضوءا بديع الأثر
فقلت لماذا كسيتك الغيوم فغاب البهاء وحل الكدر
تراك مللت الطلوع إلينا تراك تمن علينا النظر
فقال بصوت : رزين حزين غشاه الشحوب وعمق الضجر
كفاكم جحودا دعاة الدمار فاني سئمت ضلال البشر
التطلع إلى السماء هواية قديمة لدى أمارسها منذ الصغر . لكم
تستهويني تلك القبة الزرقاء الهائلة المرصعة بالألئى وأنا أرنو إليها
وأرصد أضواءها في انبهار شديد وسعادة غامرة . تقطعها حيرة بالغة
حين أرى أحد هذه النجوم بنطفى ويسقط فجأة ويلح على ذهني سؤال
حائر أين تذهب هاتيك النجوم ولماذا سقطت ؟!
ولم يكن عقلي الصغير ولا النظريات العملية في هذه السن المبكرة
يسعفاني بالجواب .
القمر الحالم :-

بيد أني كنت أزداد تعلقا بتلك الهواية في الليالي المقمرة وأتأمل تلك
الدائرة الفضية الامعة وهذي الأضواء الرقيقة الحاملة التي تنير الكون
مساء وتتسرب في هدوء أسر .

كنت ولا أزال مولعة بالنظر إلى القمر في أحواله المتغيرة ومنازله
المختلفة منذ بزوغه هلالا صغيرا إلى أن يصير بدرًا مكتملا .

القمر دائما صديق الحاملين وسمير العائقين وملهم الشعراء والمبدعين
ولكنني في بعض الأحيان أنظر إلى القمر فيخيل إليّ إنه شاحب

حزين ، يشيح بوجهة بعيدا وكأنه عاتب على سكان الأرض جفاءهم له
وانصرافهم عنه إنه يتخفى وراء حجاب من الغيوم وكأنه عازف عن

رؤية البشر لا يريد أن يراهم ولا يريدهم أن يرونه .

هؤلاء أبناء هذا العصر الذين جرفتهم المادية البغيضة والحضارة

الزائفة إلى هوة سحيقة فنسوا التأمل في ابداع الخالق العظيم .

وربما ساهم العلم الحديث في تشويه صورة القمر المضيئة الحاملة

وأصبح النظر اليه على انه مجموعة من الأحجار والصخور الجامدة

المظلمة وربما أنشغل الناس وخاصة في المدن الكبيرة بتلك الأنوار

الصناعية الزاهية الصاخبة بل والمزعجة أحيانا .

فلم يعد القمر مصدر الضوء الرئيسي ليلا خارج المنازل كما كان الحال في الماضي .

وربما انهمك الناس في همومهم الخاصة وما تفرضه ضغوط الحياة من متاعب جمه نفسية وجسمية تستهلك الوقت والجهد ففقدوا بالتالي الإحساس بالطبيعة وما فيها من صور الجمال واختفت بالتالي اللمسة الرومانسية الحالمة من حياتهم فماتت المشاعر الشفافة الرقيقة وحل محلها العنف والبغض والجفاء والحقذ وازداد بينهم التنافس الذي تحول إلى صراع ظاهر ثم مواجهة طاهنة .

وهكذا فقد الانسان أهم قيمة ينتسب إليها وهي معنى الإنسانية
الإنسان والقمر :-

وهكذا نرى الانسان في نهاية القرن العشرين وقد حقق هاتيك الانتصارات العلمية المذهلة التي تشبه المعجزات وحلق بجسده حتى وصل إلى القمر الذي كان في الماضي لا يملك إلا أن يحلق نحوه بعينه وخياله فقط ورغم هذا فقد ازداد الحزن والألم والقهر والندم وانتشر المرض النفسي وتفشى الدمار الناتج عن الحروب والتطاحن

حتى بين الاشقاء وما يتبعها من تفكك وعناء وما ينتج عنها من عداوة
وشقاء ويأس وبؤس .

ليست أدري لماذا دارت هذه الافكار بداخلي وانا أرقب وجه القمر
يظهر ويتخفى بين الغيوم الخفيفة والسحب الكثيفة انه حزين آسف
على ما أصاب البشر من ويلات وازمات من جراء مطامعهم
ونزواتهم وحمقاتهم وكأنهم سيرثون الارض إلى الأبد .
لقد تخلو عن ايمانهم وثقتهم بربهم ففقدوا بالتالي الصفاء الروحي
والأمن والأمان والإحساس بالحياة . فلم يعد التواصل بينهم وبين
منابعها قائما . فكان حصادهم هذا الشقاء وكان جزاؤهم هذا العناء -
ولكن القمر سوف يظل أبدا صديقا حميما لكل من يملك عقلا مضيئا
وحسا مرفها وقلبا حانيا ونفسا صافية .
سوف يبقى القمر بهالته الفضية وأضوائه اللامعة فيضا ساحرا وهمساً
حالما ومصدرا للإلهام . ونبعا للحب . فتبارك الله أحسن الخالقين .

الحق والواجب

تتفق الرسالات السماوية مع القوانين الوضعية و الأعراف المتبعة في أن الحق يقابله الواجب وأن هاتين الكلمتين تمثلان وجهين لعملة واحدة فقد درج الناس غالبا على الاتفاق على الأصول بينما يكون الاختلاف كل الاختلاف على الفروع . وخلاف الناس حول دينك المفهومين ؟ أو تينك الكلمتين لا ينتهي ولن ينتهي نظرا لاختلاف طبائعهم و بيئاتهم و ثقافتهم و كذلك للتفاوت بينهم في المستويين العقلي والأخلاقي فنحن إزاء أصناف من البشر.

— الصنف الأول —

قد يختلط لدى مفهوم كل من الكلمتين فيعجز — دون قصد — عن تحديد ما هو الحق وما هو الواجب ، والذي لا يفرق بين الحق والواجب لجهلة يخطئ بلا شك في أفعاله و علاقته مع الآخرين . لأنه لا يعرف حقوقه وواجباته أي يعرف ماله وما عليه .

— والصنف الثاني —

هو الذي يعرف واجبه فقط ولذا نجدة دائم العطاء مدركا لواجبه غافلا عن حقه — فيكون بذلك ظالما لنفسه لأنه يعطي بلا مقابل و مثل هذا الشخص يتسم بالمثالية الشديدة — وأن كان وجوده نادرا — وقد يكون ذلك عظيما من القيادات الصالحة في المجتمع — كقدوة — وقد يكون مستساغا من الوالدين أو مقبولا بين الأزواج

ولكن علي المستوى العام لا أعتقد أن ذلك في صالح المجتمع لأنه
سوف يؤدي إلى تميز البعض علي حساب الآخرين .

— الصنف الثالث —

وعلي العكس من الصنف الثاني نجد الصنف الثالث الذي يعرف
حقوقه فقط ويلج عليها إلحاحا ، ناسيا أو متناسيا واجباته ، مثل هذا الشخص
أنا ني بطبعه أو يأخذ دون أن يعطي أو يأخذ أكثر مما يعطي — وهو أسوأ
كثيرا من الصنفين السابقين و يفوقهما عددا .

— الصنف الرابع —

ولكن هناك صنف رابع من البشر — من حيث مدى معرفتهم للحق والواجب
— هم الذين يعرفون حقوقهم وواجباتهم ويؤدونها كما يجب أن تؤدي — دون
تقصير في أي منهما — فلا تفريط — ولا إفراط هؤلاء هم الذين يفهمون
جيدا طبيعة الحياة من أخذ أعطي ولذا نراهم أكثر تعقلا واتزاناً من غيرهم
— لأنهم يعرفون ما عليهم فيعطونه ويعرفون ما لهم فيأخذونه — فلا يستغلون
أحدا ولا يسمحون لأحد باستغلالهم .

وهذا هو عين الصواب . فكل إنسان له مثل الذي عليه بالمعروف — ولا يحق
للمرء أن يطالب بحقه ما لم يؤد واجبه — ذلك لان حقوق الفرد عند الآخرين
حقوقهم عنده .

وقد يكون جميلا أن يتنازل المرء — بمحض إرادته عن بعض حقوقه للصالح
العام أو قضاء لحاجات المحتاجين أو برا بالبعض سواء كان حبا لهم أو
إشفاقا عليهم . تلبية لمشاعر الرحمة والتضحية والإيثار . ولكن لا يصح له

مطلقا أن يتنازل عن جميع حقوقه فأن ذلك يورثه الحسرة والندم . ويدفع
بالآخرين للسطو علي هذه الحقوق دون وجه حق . وهنا يكمن الخطر من
حدوث الخلل في المجتمع الذي يؤدي بدوره إلى الصراع والتفكك.

.أبحث عنك.

بعيدة عنك بتحير أفكارى فى عوالم لانهائية .تبحث عنك . تفتش بين الحقول
عن ينابيع حنانك وزهور مودتك - تسبح - تغوص - تتقرب عن أصداف
قلبك ولآلى كلماتك . ثم تجوب الأفق تصفى لقصف الرعد وعصف الرياح
ووشوشات النسيم كي تميز صوتك الحالم .

كان صداه الهامس يطوف بسمعي ممزوجا بحفيف الأشجار وشقشقات
العصافير وعزف الأمواج ويحمل بين نبراته عبير أنفاسك ونبضات قلبك
ونغمات أشعارك وأنا أصغى إليه فى استغراق تام .

ولكنك لم تأت ولم تصلني رسائلك .سألت عنك أغصان الأشجار وسعف
النخيل وسيقان البردي وأزهار البراري فأجابوا جميعا بأنك قادم عن قريب
وظللت أسأل العصافير والحمائم فأقسمت لي أن رسائلك على أبواب المدينة
.وأن مسئولية التأخير تقع على عاتق ساعي البريد الكسول .وصدقت
العصافير والحمائم وصفت عنك .

فانتظرتك طويلا طويلا .ولكنك لم تأت ولم تصلني رسائلك .وعدت من جديد
أسأل الرياح فأشارت إلى الشمس .وسألت الشمس عن رسائلك . فقالت
أودعتها للقمر .وانتظرت القمر حتى بزغ ثم غاب وأنا ما زلت ساهرة ساهدة
حتى تبين لي الخيط البيض من الخيط الأسود من الفجر . وإذا بالفجر
يلقى الي بخيوط رقيقه حاملة فعلمت أنها رسائل أهدا بك الحانية وخيط
شعورك الدافق بالحنان والمودة .ففرحت بها وأحتويت وودعتها بكل كياني .

ولكن الفجر لم يلبث إلا قليلا ثم أسترد خيوطه ورحل . وهكذا ظلت أفكارى
هائمة حائرة تبحث عنك . حتى أعيانا البحث وأدركها النصب وأضناها
التعب وعذبتها الانتظار فأعلنت العصيان والتمرد غضبا منك لا زهدا فيك
وأنت — — — أيها الغائب الحاضر المولع بالنسيان والبعد.
أيها البعيد القريب سلام عليك ذاكرا أو ناسيا .

- حديث إلى جدتي -

- (وحدة) -

ذات ليلة --- من ليالى الشتاء الباردة أحسست برعشة ترتجف لها أطرافى
- والصقيع يلف بدنى ويكاد يجمد الدفء فى عروقى لم تفلح ملابسى الثقيلة
فى تدفئة أوصالى المرتعدة

كنت وحيدة فى هذا المنزل : المتسع الأرجاء المرتفع السقوف ولقد سافر
الجميع وتركونى وحدى دخلت حجرة نومي بعد أن أغلقت بإحكام جميع
الأبواب والنوافذ وأشعلت المدفئة ثم أويت إلى فراشى وقد أسنت رأسى إلى
وسادة صغيرة . تدثرت بغطاء السرير ومدت يدى إلى زر الأباجورة
الموجودة على يمينى وأضأتها ومكثت أحملق فى سقف الحجرة وأنا أفكر
وأأمل .

كان عقلى يموج بأفكار تتزاحم وتتلاطم وكان قلبى يغلى بأنفعالات شتى .
وكانت نفسى تصارع الحيرة والقلق ولا تستطيع الإفلات منها -

(نفرتيتى الساحرة) -

كانت الإباجورة من الرخام الأصفر الباهت على هيئة رأس نفرتيتى
وحين توهج الضوء بداخلها بدا وجه نفرتيتى الحسناء الفاتنة مشرقاً - وجيدها
الممشوق كأنه جيد إحدى ظبيات وادى تقيف خيل إلى أن ربه الحسن والجمال
قد بعثت للحياة .

أجل لا بد أن فينوس أو أفروديت ... كلا كلا إنها الملكة الجميلة نفرتيتي زوجة
فيلسوف الفراعنة إخناتون .

نظرت إليها في إعجاب . ولكم راعنى أنها تبتسم لى فى حنان ورفق
مرحبا يا جدتى العظيمة . أفيضى على من نبأ حكمتك وخلاصة تجاربك .
ليتنى عشت فى زمانك القديم - أيام الحضارة الزاهرة والطبيعة الساحرة
والعيش الرغيد .

لكم أتوق لهذه العالم الأسطورى الرائع ودنياء الفاتنة الخالية حيث كل تله موطنه
لإحدى جنيات الغاب وكل خميلة مسكنا لإحدى عرائس الهضاب وكل غمامه
منزلا لإحد حوريات السحاب لكم أبغض هذا الزمان تفنن فيه الإنسان بقتل
أخيه الإنسان مستخدما فى ذلك أرقى ما وصل إليه علمه وإهتدى إليه عقله .
- (جدتى نفرتيتي تتحدث) -

وأصغيت إلى صوتها الهامس القادم من أعماق التاريخ يحمل بين أنفاسه
غبار الزمن وقداسة المعابد وتراتيل الآلهة وعبق الحضارة ونفحة الخلود .
وفى وقار شديد وحكمة بالغة وهدوء رزين يكسوه جمال المحيا وجلال الملك .
أجابت جدتى .

يا أبنتى العيب ليس فى الزمان ولكننا نحن بنى البشر اعتدنا أن نلقى بأخطائنا
على عاتق الزمن ونحملة جريرة فشلنا وإخفاقنا ثم ترانا بعد ذلك - كما قال
شاعر كم

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

فألزمن يا أبنتي يقبل ويدبر ويمنح ويمنع ويسخو ويقتر ويضحك ويبكى -
والأيام دول منذ أن خلقت الدنيا - وتلك طبيعة الحياة فالإنسان فى صراع دائم
لتحقيق مطامعه - ولو لم يخلق فى الدنيا سوى شخصين فقط ليقتسماها بينهما
لتنازعا عليها ولقتل الأقوى فيهما الأضعف . ألم يقتل قبيلى أخاه ؟ نعم صدقتى
يا جدتى ألم يقل أرسطو - حكيم اليونان ومعلمها الأول - أن الإنسان إذا
أنفصل عن القانون أصبح أشر من جميع الحيوانات ؟
وما كان أرسطو يقصد بالقانون سوى القانون الاخلاقي ورغم ذلك فالحياة
جميلة وتستحق أن نحياها

أين ذلك الجمال يا جدتى لقد ضاع بين المتناقضات ؟ !

(مظاهر الجمال فى الوجود)

لا يا أبنتي أن التناقض نفسه من صور الجمال فالضد يبرز حسنة الضد فلو لا
الظلام ما رأينا النور ولو لا الشر ما عرفنا الخير ولو لا القبح ما أحيانا الجمال
ولو لا الباطل ما اعتقدنا الحق .

إنك تتحدثين يا جدتى وكأن النور والخير والجمال والحق يملكون الوجود كله
فليتك تدلينى عليهم وترشدينى اليهم . وبعد تهد طويل أجابت جدتى وكأنها
تسيز الى فى استغراب شديد . وقد اكتسبت نبرات صوتها الرخيم بالعتاب
والشجن :

ألا ترين هذا النور فى أشعة الشمس الذهبية وأضواء القمر الفضييه والتماع
النجومات فى قبة السماء !

ألا ترين هذا الجمال في ذلك السحر الوجودي الهائل في زرقة البحر وتسمية
النهر وخضرة الأرض وزقزقة الطيور وتفتح الزهور وضحات الطفولة !
وألا ترين هذا الخير في قلوب الرحماء وعطف الشفقاء وتسامح الأبرار ونقاء
الاطهار وتعاون الأقرباء ووفاء الأصدقاء !
ثم ألا ترين هذا الحق - في حكمة الحكماء وجلال العظماء وصدق النفوس
وثبات القلوب وذكاء العقول وعمق التأمل .
يا الهي ما أبلغك يا جدتي العظيمة ! لقد صورت لي الحياة وكأنها قصيدة حب .
هي كذلك يا بنتي - ألا ترين هذا الحب في حنين المحبين واضئدة العشاق
وخيال المبدعين ووحى الملهمين !
إن الحياة عملة ذات وجهين فانظري للجانب المشرق تحيين الحياة .
ثم خفت صوت جدتي شيئاً فشيئاً حتى غاض في أعماق التاريخ وما زال صداه
يرن في أذني ويتسرب في اعماقي .

النجمة والحلم

في فضاء الكون نجم فريد يتيه على كل نجوم السماء ونشر أشعته الساحرة
في ثنايا الأفق - فينطلق منه شعاع عابث يلهو بخصلات شعري ويداعب
أهداب عيني وأنا أدنوا منه في أنبهار شديد .

هذا السناء الحالم المبهر المطل على الكون حين يقترب مني تطرق
عيناى خوفا من المواجهة .

لكم أعشق تلك الهالة الضوئية وهذا الفيض النوراني الذي يحيطني بريقه
المشتعل يوهج الحياة وتطوف في ذهني عشرات الأسئلة التي تكاد أن تنسف
رأسي .

تري كم تسلق هذا الشعاع الحالم على شعور البنات وكم داعب أهدابهن وكم
غازل أحدا قهن ؟!

وأحاول استدعاء فؤادي الذي سافر على أجنحة كيوييد إلي تلال القمر ومرافئ
السمها ، كان فؤادى شاردابعيدا يبحث قضية خطيرة يدرسها من كل الزوايا
، يقبلها في كل اتجاه .

تري هل من الممكن أن يكون هنا أو هناك نجم فريد لنجمة فريدة ؟
وبعد نقاش وجدال صامت صامد بين عقلي وقلبي وبعد تفكير احتدام وأستددام
بين الممكن والمستحيل وبعد تفكير عميق ومراقبة دقيقة لمجريات الحياة أيقنت
أنه من المستحيل تغيير طبيعة الأشياء فالنجم لا يريد وربما لا يستطيع حبس
أشعته على نجمة وحيدة.

قالت: النجمة هبني ضوئك كله وسأهبك ضوئي كله .

وأجاب النجم . بل هيئني أنتِ ضوءك كله أما ضوئي أنا فيكفي لان يوزع علي نجومات كثيرات . وغضبت النجمة التي تؤمن بمبدأ التعامل بالمثل . وغضب النجم الذي يؤمن بمبدأ التمايز الذي يكفل ويضمن حقوق النجم علي النجمات . تلك الحقوق التي تبيح للنجم أن يزرع أشعته كيفما يريد فيمنح ويمنع في حرية تامة وحصانه مصونة وعلي النجمة أن تقبل ذلك راغبة أو راغمة وليس لها حق الاعتراض فما يباح للنجم لا يباح للنجمة .

وغضبت النجمة لأنها اتهمت بالأنانية وغضب النجم أنه اتهم بحب التملك . ووقعت النجمة في حيرة بالغة فماذا عساها أن تفعل وهل بإمكانها تحدي القوانين أو تغييرها ؟!

وراحت النجمة تسبح عن جديد في حلمها البعيد البعيد بالعثور علي نجم فريد لا يشرق إلا عليها لا يضئ إلا لها يهديها كل أنواره السنيمة . وأفانت النجمة من حلمها الخالد المستحيل للتحقيق لكي تبحث من جديد مشكلة الحرية .

• حياتي بين القلم والورق •

يرتبط المبدع بالقلم والأوراق ارتباطا وثيقا وعلاقته بهما جد حميمة ومباشرة وغير منفصلة •

ولهذا حينما أرى القلم والأوراق بين أصابعي اشعر إن العالم كله بين يدي وأستطيع أن أصوغ عالمي الخاص كما أتصوره أو أتخيله على مطلق الحرية في اختيار الشكل للموضوع الذي أريد أن أسجله وطريقة الكتابة التي أجيد التعبير من خلالها والأسلوب الذي يزوق لي •

وحينما بدأت اكتب الشعر -ولا اذكر لذلك تاريخا محددا -سمان علي أن اختار شكلا معيناً وأسلوباً محدداً يتفق وذوقي الشخصي •

(القصيدة العمودية مالها وما عليها)

وحين قررت اختيار الشكل الخليلي - أي الموزون المقفى - وهو ما عرف بالشعر العمودي أو البيتي أو الأصيل أو الملتزم - كان الاختيار طبقاً لميولي الخاصة وثقا فني وانتمائي للتراث - فما زلت أعتقد أن الشعر الموزون المقفى هو الشكل الأفضل والأكمل للقصيدة العربية •

— (لماذا أفضل هذا الشكل؟)

سألني البعض لماذا أصر على الكتابة بهذا الشكل الصعب الصارم في أوزانه وقوافيه ؟ و لماذا لا اكتب الشعر الحر الذي يوفر لي قدرا من المرونة والتحرر

والحقيقة أنني لم أكن فى موقف مفاضلة ولكنى كتبت الشعر العمودي عن اقتناع أنه أفضل الأشكال للقصيدة العربية الفصحى فى اعتقادي - وأسوق لذلك بعض الأسباب التي أراها وجيهة لتعزيد رأيي .

أولا - انه الشكل الذي برع ونبغ فيه العرب أرباب البلاغة والفصاحة - حيث كان الشعر قمة المجد وزروه الفخر وقرضه يعنى التمكن من ناحية اللغة وحسن البيان . وقد ورثناه عنهم هكذا وهم أصحابه وواضعو أسسه .

ثانيا - أنه يوافق الفطرة لذا نجد الشاعر يبدأ به هكذا بالسليقة

ثالثا - أنه يقوم على أصول ذات قوانين هندسية تحتاج إلى تمكن وإتقان بالطبع إلى جانب الموهبة وهذا ما لا يستطيعه سوى مبدع جيد .

رابعا - لأنه يسهل حفظه وتلحينه والتعني به . وبهذا يعيش فى الوجدان - لأنه إيقاعه يتناسب والذوق العربي والأذن العربية .

خامسا - لأنه يصح الاستشهاد به فى المواقف الحياتية المختلفة فى الأهمية - فى هذا المقام - بعد القرآن والسنة وساعد على ذلك أن البيت هو وحدة القصيدة ولذا من الممكن اختيار الآبيات المفردة التي تحوى الحكمة والموعظة وإلقاءها على الناس فيكون لها وقعا شديدا وأثرا عميقا فى نفوسهم .

(لماذا الهجوم على الشعر العمودي ؟)

يرى البعض أن الشعر العمودي لم يعد مناسبا لروح العصر ويسوقون لذلك أسبابا نذكر منها :-

أولا - أن متذوقي الشعر فى هذا العصر يعتمدون على القراءة فلم يعد تلقى الشعر قائما على الاستماع والرواية إلا نادرا .

ثانياً - أن القصيدة العمودية عادة طويلة وهذا يشعر المتلقي بالملل والرتابة وخاصة إذا كانت ذات قافية موحدة.

ثالثاً - قد تستدعى الإطالة تكرار بعض الأفكار فتبدو القصيدة غير منسقة ولا تضمها وحدة عضوية .

رابعاً - قد يضطر الشاعر إلى تكرار بعض القوافي على أبعاد معينة أو قد تضطر القافية إلى استخدام كلمة لا تؤدي الغرض في موقعها أي أنها جلبت خصيصاً لإرضاء للقافية دون أن تضيف جديداً .

خامساً - أغلب الشعراء العموديين كثيراً ما يستخدمون ألفاظاً معجمية يصعب فهمها على القارئ غير المتخصص .

ودون أن أدري أجد نفسي موضع اتهام وفي موقف دفاع عن الشعر الموزون المقفى - وبداية أقول لقد وضعت نصب عيني محاولة التخلص من هذه المأخذ وما يترتب عليها من صعوبات تعوق القارئ المعاصر عن تذوق الشعر العمودي .

فجميع قصائدي قصيرة أو متوسطة الطول - باستثناء عدد قليل كإثبات حاله - وقد راعيت فيها إلا تحوى سوى غرض واحد حتى أحقق الوحدة العضوية والفنية داخل القصيدة قدر الإمكان

كذلك حاولت الالتزام بالألفاظ الميسرة - فلا يحتاج المتلقي الرجوع إلى المعاجم إلا نادراً . واقتنعت تماماً عن تكرار أي قافية داخل القصيدة الواحدة مهما طالت .

وأيضاً لجأت إلى تنوع القوافي في الكثير من قصائدي • كنوع من التيسير على المتلقي • إضافة إلى هذا راعيت في ترتيب قصائدي في كل ديوان إلا أضع قصيدتين متابعتين من نفس البحر أو التافية حتى اكسر حدة الرتابة التي قد تصيب القارئ نتيجة لتكرار الإيقاع - لأن تغير النغمات والإيقاعات بين القصيدة والأخرى يساعد على تنشيط الذهن وإيقاظ المشاعر والإحساس بالتنوع وهذا كله يدفع بالقارئ إلى الاستمرار وعدم التوقف •
(موقفي من التجديد)

لست ضد التجديد بأي حال فالتجديد هو سنة الحياة وضمان استمرارها وقد مر الشعر العربي بمراحل تجديدية على أيدي الأندلسيين والرومانسيين وهناك شعراء لهم جهود لا تنكر في النهوض بالقصيدة العربية وإحيائها في أعقاب مراحل أهملها بحكم ظروف وأوضاع اجتماعية وسياسية كثيرة •

وكان التجديد يقوم على تجديد الصور والأخيلة والأساليب والمعاني داخل نفس الإطار واعتبار أن الأوزان والقوافي قواعد ثابتة مثل قواعد اللغة وهي ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة ومع ذلك يتطور استخدامها وطرق التعبير بها وتتعدد الأساليب طبقاً للموضوعات والمواقف - كذلك من الممكن استنباط أوزان جديدة تتمشى مع روح العصر كما فعل أصحاب الموشحات • أذن أنا لست ضد التجديد والدليل على هذا أنني كتبت عدداً من قصائد شعر التفعيلة

اعتز بها وإن كان اتجاهي الأساسي هو الشعر العمودي وأرى أن الشعر العمودي هو المصدر الأصيل والنبع الذي تنفرع منه جميع الروافد

الأخرى وتستمد منة بقاءها فماذا لو نضب هذا النبع الزاخر ولمصلحة

من يطالب البعض بردمه ومنعة من التدفق؟!

هل بإمكاننا ردم نهر النيل اعتمادا على شبكة الترع والمصاريف؟

ان هذا مثل ذاك - وهذا لا يصح بالطبع فكيف يصح ذلك؟!!!!!!

(تنفيذ رأى المهاجمين)

ليس صحيحا ان الشعر العمودى لا يصلح لهذا العصر ولو كان الأمر كذلك لما

كان هناك داعى لتكرار أشعار القدامى والاستشهاد بها فى كل صغيرة وكبيرة

• فلو كانت لاتصلح الالزمائها كما يقال لما تذوقناها نحن وشعرنا بحاجتنا

اليها •

ولادرى سببا للهجوم على القافية واعتبارها قيداً يعوق المبدع وأقول أن الشاعر

الجيد لا يتوقف أمام قافية وقد كتب القدماء فى جميع الغراض والمواقف ولم

تعقهم هذه القيود الوهميه وساعدهم

على ذالك فراء اللغة وكثرة مفرداتها ولكنه عيب من يحاول مالا يستطيع

فيكون حظه الإخفاق فيقف بعد إفلاسه ليرمى الشعر بالصعوبه متعللاً بالقيود

فالقافية جزء من الإيقاع ينتج موسيقى ظاهرة - ولايجدى قول المهاجمين بأن

القافية جزء يسير من الإيقاع وأن الشعر الجديد يعتمد على الإيقاعات

الأخرى الناتجة عن الجناس والطباق وحسن التقسيم والالتفات ألى اخره حيث

تنتج موسيقى داخلية - ولكن ما المانع من استخدام كل هذه الإيقاعات مجتمعية

حتى إذا أخفق الشاعر فى تحقيق الموسيقى الداخلية كانت لديه موسيقى جاهزة

متمثلة فى القافية فىكون كمن يعزف على اوركسترا لا على اله واحدة
والغريب فى الأصل أن المهاجمين من أصحاب الاتجاهات الحديثة .
يحاولون تجريد الشعر من أهم خصائصه وهو الموسيقى على حين نرى
العالم العربى أدخل الموسيقى فى جميع أنشطة الحياة حتى تلك البعيدة عن الفن
لقد ثبت بالدليل القاطع صلاحية القصيدة العمودية للتلحين و الغناء حتى
أصعب البحور أمكن تلحينها فهل هذا متاح للقصيدة الحرة ؟

— (خلاصة) —

إذا كان التجريب مكفولا للجميع لأنه يمكننا من ارتياد مناطق جديدة وأيضا لان
تعدد الشكل الأدبي يدل على ثراء اللغة ويرضى جميع الأذواق فهذا لايعنى
هدم الصروح الشامخة المستقرة بحجة عدم ملاءمتها للزمن .
وليس هذا صوابا بالطبع وخاصة الجديد ليس هو الأفضل دائما وأن
شعراء القصيدة الجديدة لم يأتوا حتى الآن بمثل ما أتى به الأوائل من القصيدة
العمودية .
وإذا كانت القصيدة العمودية تعاني أحيانا من بعض المأخذ فلماذا لا نحاول
الخروج بها من هذا المأزق عن طريق تشخيص الداء ومعرفة العلاج المناسب
بدل من الحكم بإعدامها وأطلاق الرصاص عليها .
حتى يبقى الشعر كما كان ديوان العربى الخالد وسجلهم الحافل بأحداث
حياتهم .

الشعر والحياة

- ما هو الشعر ؟

الشعر هو ذلك التعبير الراقى الجميل الذي أختص الله سبحانه وتعالى به بعض من عباده . وكأنه بذلك قد اصطفاهم على عامة البشر من مجالات المقدرة على الابداع الفني .

فالشعر ما هو إلا تعبيراً عن مشاعر البشر في صورة فنية مبدعة يحفظها الخيال ويحيطها بجناحيه ويرفرف عليها الحلم ويزينها الجمال وتضمها قوالب خاصة حفظاً لها وصونا .
ولست أزعم أنني أقدم تعريفاً للشعر فلدينا عشرات التعريفات التي أوردها القدماء والمحدثون وإن كنت أحسبها جميعاً غير جامعة مانعة كما يقول المنطقة .

- علاقة الشاعر باللغة :

ولما كان الشعر فناً من فنون القول كان إرتباط الشاعر باللغة ارتباطاً وثيقاً لأنها أدوات ابداعه . فالكلمات هي وحدات البناء الشعري وهي أيضاً أوعية للمعاني ومن هنا فإن الشاعر المجيد هو الذي يحسن انتقاء الأوعية المناسبة ليضرب فيها معانيها .

كان تكون ألفاظه إلباء واشد جذبا وبالتالي تصبح أعمق اثرا في
نفس المتلقي .

وإن كان بعض العلماء يؤثرون المعنى على اللفظ وبعضهم يؤثرون
اللفظ على المعنى فهناك فريق ثالث يرى ضرورى تعادل المعنى مع
اللفظ - أي تناسب الفكر مع اللغة - ويكاد يجزم بعض الفلاسفة بأن
اللغة ما هي إلا فكر منطوق وأن الفكر ما هو إلا لغة صامتة وكلمة
شعر مشتقة أساسا من الشعور ولما كان الشعور

- كما يرى علماء النفس - تيارات متدفقا ومستمرا منذ الميلاد
وحتى الممات لكنة دائم التغير كان كذلك الشعر .

فهو متغير طبقا لتغير الشعور وما ينتج عنه من انفعالات شتى ورود
متباينة هادئة أو تائرة وقد تكون محزنة أو مفرحة وقد تكون
رقيقة حالمة أو شديدة غاضبة أو غير ذلك من الانفعالات
الانسانية المتعددة .

- ولطالما ثار في ذهني هذا السؤال وتردد صداه في أعماقي
مرارا .

ماذا لو جرد الإنسان من هذه المشاعر بجسده وعقله فقط ليمارس كل أوجه النشاط الجسمي والعقلي دون حس أو شعور تراه يكون سعيدا ؟ بل تراه يكون إنسانا ؟

وكانت اجابتي الفورية من داخلي .. لا أظن فالإنسان لا يكون انسانا بدون المشاعر ولولاها ما استطاع أن يبدع فنا أصيلا . فجميع الفنون تستمي إلى عالم الوجدان ، ذلك لأن المبدع ينتقل إلى عوالم بعيدة ويرنوا إلى افاق جديده فوق عالمه الواقعي - أي باستطاعة المبدع أن يصيغ خاصا به .

(دور الفن في الحياة)

للفن في حياة الإنسان دور عظيم لأنه يفجر في داخله نبعا من الحب والحلم والأمل . ويوقظ في نفسه جذوة من أحاسيس الجياشة لولاها لأصبحت الحياة جافة عقيمة غير مجدية فالإنسان بجسده يؤدي وظيفة بيولوجية بحتة لا تختلف كثيرا عن جميع الكائنات الحية فهو يتنفس ويتغذي ويتكاثر ويتحرك .

والإنسان بعقله يستطيع أن يفكر ويقرر ويقيم الحكومات ويبني الحضارات ويسن القوانين ... ولكن كل هذا لا يشعره بالسعادة في

الحياة . فهذا الشعور وظيفه الوجدان . وإذا كان ديكارت يقول انا أفكر إذن أنا موجود فاعتقد أنه من الصواب أن أقول (أنا أشعر إذن أنا أعيش) فبدون هذه المشاعر والأحاسيس الوجدانية لا يعيش الفرد كإنسان وإن كان بمقدوره أن يحيا ككائن حي .

ولهذا كان للشعر وسائر الفنون الراقية دور هام في سعادة البشر فهو يمنحنا الحلم الجميل والأمل الباسم . وحتى إذا لم يتحقق هذا الحلم أو ذلك الأمل في الواقع فيكفي أننا سعدنا بهما زما .

- أثر الشعر على المبدع والمتلقي .

الشعر يعطي المبدع فرصة لتفريغ الانفعالات وفلا يكتبها لتدمر ولا يناقض أليها فيقع في المحذور بل أنه يسمو بمشاعره وانفعالاته إلى عالم الحق والخير والجمال فيبدع فنا جميلا يسعده ويسعد الآخرين . وللشعر أيضا على المتلقي أثر بالغ فهو يتأسى به عن مآسيه ويستمد منه الحكمة ويستخلص منه العبرة .

دور الشعر في حياة المجتمع

وللشعر دور في تغيير المجتمع إلى الأفضل فهو يحفز الهمم ينقي النفوس يزيكها من خلال ترسيخ القيم النبيلة العليا ويساعد على

نشر المعاني الرفيعة والعواطف الرقيقة لأنه يدعو إليها ويحث عليها
ويبرز مزاياها ويوضح فضائلها هذا هو دور الشعر في الحياة أو هكذا
ينبغي ان يكون .

ولهذا نجد الشعراء الطف الناس طبعاً وارقاهم إحساساً وانبلهم عاطفة
واعذبهم لفظاً واطيبهم نفساً .

ولهذا كان الشعراء جلساء الملوك وسمرائهم .

وإذا كان العمر الزمني للإنسان هو تلك الفترة الزمنية التي تبدأ
بالميلاد وتنتهي بالممات فإن العمر الحقيقي له - فيما اظن - هو تلك
اللحظات القليلة التي يشعر فيها بالسعادة ويحس دبيب الحياة في
اعماقه وسريانها في وجدانه فتحلق روحه في عوالم الابدية وكأنه
يحتوى الوجود أجمعة وهذه لحظات صفاء روعي نادرة يولد خلالها
الأبداع الأصيل .

واذكر إنني سئلت يوماً عما إذا لم اكن شاعرة فماذا كنت أود أن
أكون؟

فكانت اجابتي التلقائية المؤكدة أنني افضل أن أكون شاعرة على أن
أكون أميرة أو ملكة . وما زلت أعتقد ذلك

شكر واعتذار

نص الكلمة التي أرسلتها الشاعرة إلى الجماعة الأدب العربي
بالإسكندرية أثناء مناقشة مسرحيتها الشعرية في ندوة خاصة و القاهها
عنها الأديب الشاعر / عبد اللطيف الجوهري ٨ / ٨ / ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الشاعر الكبير / محمد رخا مؤسس جماعة الأدب
العربي

حضرة الاستاذ الشاعر الاديب / عبد اللطيف الجوهري - السادة
الأدباء محبى والأدب - تحية طيبة من الأعماق مقرونة باصدق
الأمانى لكم جميعا بالصحة والسعادة والتوفيق والنجاح .
بداية الاعتذار عن عدم الحضور نظرا لبعد المسافة اولا ولظروف
خاصة بى ثانيا:-

وكنت أود من كل قلبى حضور هذه الامسية التى تتأقش فيها
مسرحيتى الشعرية - الجميلة والعراف وأسعد بلقاء أعضاء جماعتى
الأدبية التى اشرف بالانضمام اليها . والتى نوقش فيها العديد من
أعمالى الشعرية السابقة اما مسرحية الليلة فهى تحكى قصة قريبة من

الواقع وقد تصورت مسرح أحداثها فى مدينة مصرية ما . وزمانها
الربيع الاخير من القرن العشرين وتتلخص فكرتها فى أن الخداع
والمكر السيئ يضعان صاحبهما موضع التهلكة ويقودانه إلى
الهاوية . ولابد أن يكون النصر للخير والقيم النبيلة .
وتعرض المسرحية من خلال الحوار قصة ثلاثة من الشباب أصدقاء
التقوا فى أحد النوادى بفتاة جميلة حاملة طيبة فهاموا جميعا بحبها
وأصبحت حلما يداعب خيالهم وكان لكل منهم مسلكه الخاص فالأول
الذى يملك المال والجاه فاز بخطبتها والثانى كتم مشاعره وتمنى
لصديقة السعادة والثالث نغم على صديقة وشحذ مكره وخبثه وقرر أن
يحصل على الفتاة بأى وسيلة وبلى اعتبر أن سبق صديقة إلى خطبة
الفتاة تعدى عليه فقرر الانتقام منة بقتلة . ولكنة دفع ثمن تأمره
وخداعه . (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) صدق الله العظيم
وفى سياق المسرحية نستعرض بعض عادات الشعب المصرى فى
الزواج والحياة العامة . ونظهر الروح المصرية المرححة حتى فى
أحلك الظروف والحقيقة أن هدفى من كتابة المسرح الشعرى كان

- ولا يزال .. هو إحياء هذا الفن الصعب الذى يمثل ندرة على مستوى العالم العربى وإذا كان أمير الشعراء هو رائد هذا الفن فى الشعر العربى فان الشعراء العرب الذين ساروا على نهجه فى كتابة الشعر المسرحى يعدون على أصابع اليدين فى أحسن تقدير وأغلب هؤلاء الشعراء استخدموا الشعر الحر تيسرا على أنفسهم واعتقادا منهم أن هذا انسب للمسرح وقد فكرت أنا أيضا فى ذلك ولكن حبى لموسيقى الشعر الاصيل قادتني إلى كتابة مسرحيتي بالشعر الموزون المقفى ولكن بأسلوب سهل . لأريد أن أطيل عليكم بل سأترك لكم الحكم بعد القراءة والاستماع ولكن لى ملاحظة أود توضيحها ألا وهى - أننى لم اعتمد على قصة تاريخية أو أسطورة شعبية صيغت أحداثها ورسمت شخصياتها وحدد الصراع بداخلها أى اننى لم أبني على بنية جاهزة بل اخترعت القصة بأحداثها وشخصياتها ثم صغتها شعرا فكتبت بذلك كاتبة قصة وشاعرة فى آن واحد وهذا فى اعتقادى أمر صعب وعمل شاق .

وبعد لا يسعنى فى النهاية الا أن أشكر لكم إهتمامكم بأدبنا ومناقشة مؤلفاتنا وتحملكم مشقة الحضور وندعو الله أن يجمعنا بكم فى مدينتكم

الرائعة الاسكندرية التى أحبها من كل قلبى وأن نكون عند حسن ظنكم
بنا وتقبلوا تحياتى وشكرى وتقديرى

- والسلام عليكم ورحمة الله

اختكم

الشاعرة /نوال مهنى

مسابقات حائرة

- (انقباض) :-

و اقبل الليل . كان النهار يللمم أذياله ويتأهب للرحيل ويجمع آخر خطوطه من صفحة الافق .

وكان الظلام يقترب رويدا رويدا متمهلا في خطوه ليبتلع آخر ما تبقى من أضواء النهار . وقد استحالت الشمس إلى قرص أحمر نارى كأنه إحدى جمرات جهنم .

لست أدري . لماذا كنت أحس بانقباض شديد فى صدرى ورغبة عارمة فى البكاء لم أدر لها مبررا ولم استطع لها دفعا .

تجولت فى أرجاء البيت وفتحت دولاب ملابسى وجعلت

أستعرضها واحدا واحدا فلم أجد ما يجذبنى إليها حتى فساتين

المناسبات الخاصة التى صنعتها بإحكام وإتقان وتفننت فى تجميلها وانفقت الوقت والجهد فى تزيينها لم أعرها اهتماما .

أغلقت الدولاب ووقعت عيناى على اليوم الصور تصفحته بلا

اكتراث ثم القيت به بعيدا . قادتى قدماى إلى المطبخ كنت أحس

بالجوع بيد أنى لم أجد رغبة فى طعام أو شراب . وانتهى بى

المطاف إلى المكتبة مكانى المفضل - رحت اقلب رفوفها رأساً
على عقب . اخترت بعض الكتب واتجهت لشرفة منزلى وارتميت
على مقعد بلا مبالاة .

(لا جدوى فى شئ)

حاولت أن أقرأ فلم استطع . كان هناك إحساس بالآ جدوى يسيطر
على نفسى . لا جدوى فى شئ ولا جدوى من شئ .
لماذا أقرأ ؟ ولماذا اكتب ؟ بل لماذا أعيش ؟ وما معنى الحياة
إذا كان لها معنى على الإطلاق .

تجولت ببصرى على أجد إجابة لتساؤلاتى الحائرة .
كان بصرى يرتد إلى أكثر حيرة . وتصطدم نفسى بعلامات
الإستفهام فى كل اتجاه .

خلعت نظارتى والقيت بها بجانبى ووقفت انتفس الصعداء .
حاولت أن أسرى عن نفسى ما بها من ضيق وكرب .

(تأمل فى الطبيعة)

كانت تمتد أمامى أربعة مناظر تتوازى فى خطوط طولية من
الشمال إلى الجنوب وتتعامد فى قطاعات عرضية من الغرب إلى

الشرق أولها شارع الكورنيش المتسع الحافل بالحياة . وثانيها
المنتزه الذى يكسوه العشب وتظله الاشجار . وثالثها النيل الذى
ينساب هادئا رزينا . ورابعهما الهضبة المطلّة على ضفة النهر
والتي تبدأ بها صحراؤنا الشرقية الشاسعة . وقفت أفرس فى تلك
المناظر الاربعة كان الشارع يعج بضجيج العربات وأصوات
المارة وآلات تنبيه السيارات بشكل مزعج . وكان الكورنيش
والمنتزه يموجان بالاطفال يلعبون والباعة الجائلين ينادون على
بضاعتهم واصوات الغناء ونغمات الموسيقى تتناسب من اجهزة
التسجيل على عرباتهم .

وفجأة ... مر موكب جنائزى يتبعه صراخ المنتمبين وأنين الباكين
وخفتت أصوات الغناء قليلا ريثما مر الموكب الحزين . ثم
ارتفعت مرة ثانية . ولم ادر لماذا لم احفل بهذه الاصوات أو تلك
ولماذا لم يثرنى مرور زينك المنظرين ؟ وتذكرت قول المعرى .
غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح بالك ولا ترنم شاد يالك من
فيلسوف حكيم

ولكن ما هي هنيهات قصيرة واذا بدموعي تنهمر كالسيل .
لقد تذكرت موت ابي وانهيار ذلك الحصن المنيع الذى كنت ألوذ
به وأستند اليه وجفاف ذلك النبع الفياض الدافق بالحنان والحب
حاولت ان أستوعب حقيقة الموت .. وقد استوعبت بعقلي ولكن أني
لمشاعري أن تستوعب فقد الاحباء وفراق الاعزاء .

ولكن ما جدوى الذكرى ؟ فما الذكرى الا تمزيق لجروح قد
اندملت أو كادت . لقد كان شيخ الشعراء اسماعيل باشا على حق
حين قال :

اقصر فؤادى فما الذكرى بنافعة

ولا بشافعة فى رد ماكانا

(النيل والقارب)

افقت من هو اجسى على رؤية شراع يمر فى مجرى النهر تتبعه
اشرعة صغيرة تتهاذى فى بطء ودلال كأنها حمائم الفجر أو
عرائس الشعر - كانت صفحة النهر تتلالا بانعكاسات ضوئية
جميلة وكان النيل أحب المناظر جميعا إلى نفسى . فالفيتها مشدودة
اليه وكأنه المعنى بالإجابة عن تساؤلاتى - ترى يا نيل ...

من أى عهد فى القرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغدق
لم يكن الأمير وحده عاشة^١ للنيل بل اننى أعشقة مثله ولكم تمنيت
لو كنت عروس النيل . وطاف هذا الحلم بخاطرى . فتصورت
نفسى

(١) هاميس أو لا ميس . وهممت أن ألقى بنفسى إليه وأحتضن
أمواجه الهائمة وأفنتش فى أعماقه الدافئة عن جزيرة نائمة أو
تميمه سحرية أو خبيثة ملكية - ما أروع هذه اللحظات
الاسطورية القصيرة وما أروع هذه الحياة السريعة التى تشبه
حياة الزهور أو فراشات الربيع فما العمر إلا لحظة أو
لحظات

(العمر لحظة)

ما جدوى أن يعيش المرء عشرات السنين يقضيها فى متاعب وهموم
والكيد لهذا أو التفاق لذاك والتعلق بالمناصب وجمع حطام الدنيا والندم
على هذه وتلك ؟ ثم ينسى فى غمره المشاكل والمشاكل ان يعيش .
ويتذكر الأوقات التى عاشها بفكره وشعوره واصغى فيها لصوت
الوجدان واستنشق فيها عبير الحرية وحقق فيها الصفاء الروحي فلا

يجدها الا لحظات قصار . هي في الواقع عمره الحقيقي والباقي مفقود
مفقود .

إن الانسان إذا عاش بجسده فقط فهو أشبه بحيوان لاهم له الا اشباع
غرائزه - وإذا عاش بعقله فقط فهو أشبه بالة صماء ولكن جوهر
الانسان الحقيقي - في اعتقادي - هو ذلك الوجدان أو تلك المشاعر
التي تنبثق منها كل القيم السامية - الضمير - الرحمة - العدل -
الحب - العطف - الشفقة - السلام - الصفاء - الحنان - الخ ..
إن الشعور الوجداني هو أهم ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات وكلما
سما الانسان بمشاعره وارتقى بوجدانه صدرت عنه الفضائل في
بساطٍ ويسير وكأنه مفطور عليها.

تأملات فى صفحة العمر

الإنسان والحياة :

الحياة لفظ عميق المعنى .. وهى القوة الكامنة فى جميع الكائنات التى تجعلها تحس وتتحرك وتتنبس وتفكر وتقرر وتبدع ، أى أنها تفجر فيها الغرائز وحينما نقول كائنات حية فهذا يعنى أنها تحيا أو تعيش الحياة . والإنسان مثل جميع الكائنات - وإن كان أرقاها - يأتى إلى الحياة لقضاء فترة زمنية محددة . يعلم بدايتها ولكن كرمأ من الله ولطفأ - لا يعلم نهايتها . " وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت " (١) ويأتى الإنسان إلى الدنيا وهو يحمل شهادة ميلاده أو بمعنى أصح وأدق يحمل شهادة وفاته على حد تعبير الوجوديين (٢) لأن حياته منتهية لا محالة فى يوم ما .

خطوط الزمن :

وصفحة العمر فى اليوم الأول للميلاد تكون بيضاء ناصعة ثم يبدأ الزمن فى رسم خطوطها إنها وثيقة معنوية تحمل صفات الإنسان من موروثة ومكتسبات - وتزداد الخطوط يوماً بعد يوم لتسجيل ما مر من العمر المحدد . وكلما ابتعدت عن خط البداية قربت من خط النهاية وهكذا حتى تصل إلى غايتها وتتوقف عند أجل مسمى يعلمه الله - ولكن الإنسان لا يعرف مواعده .

ولا يريد أن يعترف - ولكن المرء مؤمناً كان أو ملحداً يدرك تماماً
وعلى سبيل اليقين أن حياته طالت أو قصرت لابد أنها منتهية فى يوم ما
وأعتقد أن ما يؤرق الإنسان ليس نهاية الحياة فهذه الحقيقة قد سلم بها تسليماً
فلا سبيل إلى تغييرها أو الفرار منها .

ولكن ما يؤرقه حقاً هو تلك الخطوط التى يحفرها الزمن على جسده
الضعيف فيصبح فريسة سهلة لهذا الوحش الضارى الذى يتربص به
ويستهدفه دائماً حتى ينال منه مأربه تدريجياً .
ويبدو الإنسان فى صراع دائم مع الزمن وتظهر عليه علامات القهر
والغلبة من هزال وانحناء وخمول وسقم يتبعه تغير فى الهيئة .

الإحساس بالزمن :

ومؤثرات الزمن لا تقتصر على الجسد المادى فقط فالإنسان كما نعلم
يتكون من منفس وجسد وهما لا ينفصلان طيلة الحياة ويؤثر كل منهما فى
الآخر ويتأثر به فضعف الجسد يؤدى إلى ضعف الحواس والذاكرة
والإحساس بالألم وقرب النهاية يؤثران على مشاعر المرء وفقدانه البيهة
والمرح ويسلبانه الحلم الجميل . ويألبان عليه المواجه والمناعب فتتكاثر عليه
الهواجس والشجون فيشعر بأقوال نجمه وغروب شمسهِ وتتضافر آلام الجسد
وعذابه مع هموم النفس وشجونها فى تأليف ملحمة أرذل العمر . والبطل
المنتصر فيها دائماً هو الزمان والضحية المقبورة دائماً هى هذا الكائن
الضعيف المسمى إنساناً - فيمسى ولسان حاله يقول :
(رمتنى الليالى عن قسى النوائب فما أخطنتنى مرسلات المصائب)^(٣)

المرأة والزمن :

وهذا الإحساس الإنساني من خوف وتوجس ورعب من بصمات الزمن المتوقعة وتقلباته المفاجئة ينطبق على المرأة والرجل على السواء ولكن يبدو أن إحساس المرأة بالزمن يكون أعمق أثراً وذلك لأن تقدم العمر بها يؤثر على جمالها ونضارتها ، فالجمال والنضارة مرتبطان بمرحلة الشباب وهما معاً من أهم القيم التي تتقوم بها المرأة في كل زمان ومكان^(٤) فينتابها إحساس بالحزن والكآبة وهي ترى صورة الكون وتحقق في المرأة وتردد في صمت :

أحسق كى أجتلى عالمى وفى مقلتى ذهول شديد
أرى الكون حقلاً شديداً البلى أمات ثماراً وحطم عوداً

ولذا تتألم المرأة كثيراً وينتابها الغزع حين ترى علامات الشيب وقد بدأت في الظهور في شعرها وخطوط الزمن وقد بدأت ترتسم على وجهها وقوامها وتحاول المرأة جاهدة تأجيل كل هذا وما وسعتها الظروف . وأسعتها الإمكانيات أنها تخشى من شحوب لونها وذبول زهرتها غير أن محاولات المرأة المستميتة في الاحتفاظ بشبابها وإن نجحت في تأجيل بصمات الزمن لبعض الوقت فإن الزمن يتدخل وبشكل حاسم في الوقت المناسب ليدق بضرباته العنيفة جميع الأبواب ويسحق بقبضته المخيفة بقايا الشباب . وحينئذ تظهر خطوطه واضحة جليلة ويستحيل إخفاءها بأي وسيلة كانت .

وهل يصلح العطار ما أفقد الدهر ! كما يقول الشاعر القديم ربما استطاع العلم الحديث بعد هذا التقدم المذهل والتخصص الدقيق أن يجد من

الوسائل ما يعين المرأة على الاحتفاظ بجمالها وشبابها لفترة أطول أو يخفى آثار الزمن الكئيبة في حدود مقننة .

ولكن مهما بلغت جدوى هذه الوسائل فإنها أبداً لن تعود بالمرأة إلى سابق عهدها فعدها الزمن مازال يشحذ أسنانه ويسن أظافره ويتأهب للانقضاض عليها ولن تفلت منه أبداً .

لحظة تأمل :

والتأمل في صفحة العمر يقودنا إلى حقيقة يعيها جيداً كل ذى لب وهي حقيقة الإيمان فالإيمان بالله يكسب صاحبه هدوء النفس وراحة القلب فيتجه عقله ووجدانه إلى الجمال المعنوي ويؤمن بأن التغير هو سنة الحياة . ولا سبيل غير الرضا والثقة بالله ويروض نفسه على تفهم أن لكل مرحلة عمرية جمالها الخاص واهتماماتها التي تتاسبها . وبهذا يصحح مساره ويحدد خطواته ويجعل همه العطاء والمنح لا الأخذ والمتع فتسكن نفسه ويطمئن فؤاده ويعيش في سلام مع نفسه ومع العالم من حوله وهذا هو حصن الأمان فالرضا والسكينة يدوران مع الإيمان وجوداً وعدماً .

الهوامش :

- [١] سورة لقمان الآية (٢٤) .
- [٢] الوجودية اتجاه فلسفي يعتنى بوجود الإنسان الفرد ومعاناته .
- [٣] البيت لابن زيدون - ص ٢١٨ من الديوان .
- [٤] الأبيات للشاعرة جليلة رضا ص ٨٤ ديوان (اللحن النباكي) .

الشاعر والسوقة

مسرحية نثرية :- من فصل واحد

(أول عمل نثري للشاعرة في مجال المسرح)

الشخص حسب الظهور :-

١ - الشاعر - ش

٢ - المنظم - م

٣ - السوقي - سوقي

٤ - صاحب السوق - ص

٥ - زعيم المتقفين - الزعيم

تتكون المسرحية من فصل واحد وثلاث مشاهد

المشهد الأول

(بوابة كبيرة تؤدي الى السوق - يقف أمامها منظم ومعه بعض الفتيان لحفظ الامن وتنظيم الدخول والخروج - والناس يدخلون ويخرجون حاملين بضائعهم وسلعهم . . يتقدم رجل إلى الباب يبدو من هيئته الهدوء والبساطة والثقة بالنفس يهيم بالدخول فيتصدى له المنظم ويستوقفه ويسأله)

الشاعر :- السلام عليكم ورحمة الله .

م :- وعليكم - إلى أين يا رجل ؟

ش :- إلى السوق طبعاً .

- م : - وماذا تفعل بالسوق .
- ش : - مثل ما يفعل كل من السوق .
- م : - من بالسوق يبيعون ويشترون .
- ش : - وأنا أيضا أبيع وأشتري
- م : - ولكن لا أرى معك شيئا .
- ش : - بل معي أشياء كثيرة ولكنك لا تراها
- م : - (ساخرا) أشياء كثيرة ولا ترى ؟ لعلك أليست بضاعتك
- طاقة الإخفاء !!!
- ش : - ربما .
- م : - ربما !!! قف مكانك يا رجل ، لا بد أنك ساحر أو مجنون
- أو لص - أو - يا . . يا غلام .
- (يتقدم شاب قوي البنية صارم الملامح) .
- سوقي : - أتتادي عليّ ؟
- م : - خذ هذا الرجل إلى صاحب السوق فأني أرتاب في أمره
- (يتقدم السوقي إلى الشاعر ويمسك بزراعته)
- ش - دعني يا هذا - (ينظر الى المنظم) لماذا تأخذونني ولم
- أرتكب خطأ ان من حقي أن أدخل السوق مثل جميع
- الناس .
- السوقي - تعال معي أيها الشاغب أمض إلى صاحب السوق .

م- أنتظر ماذا كنت تفعل قبل أن تأتي إلى هنا أيها المجنون ؟

ش- ينظر في أسي: اشكو الزمان وانسج الاحلاما (١)

استرح الأعطار والأنساما

لأزيل عن نفس الكئيبة مابها

وأثبت وجدا يشخذ الاقلاما

كم بت أحمل ذى الهموم بكاھلى

فعلام أوصم بالجنون علاما!!؟

م- تترك أعمالك وتتشغل بهذا الكلام الفارغ ثم تأتي إلى السوق

لتنشرة بين الناس حتى تصرفهم عن السعى إلى أرزاقهم ؟

أيها المجنون - اذهب به إلى صاحب السوق

(يجذب الشاعر من ذراعه -) هيا أمض معى .

انتظر . فتش ملابس أول .

(يتحسس ملابس الشاعر) ليس معه شئ - هيا

(ينصرفان)

السوقى

م-

السوقى -

المشهد الثانى

(صالة كبيرة مرتفعة أشبه بالفرنندة - تطل على السوق -

يجلس فى مقدمتها رجل ضخم وقد اتكأ على أريكة وأمامة

نرجيلة وحولة بعض التجار والأعيان - يدخل السوق
ومعه الشاعر ويتجهان إلى صاحب السوق)

سيدي هذا الرجل مشاغب طويل اللسان يزعم أنه جاء
ببيع

السوقي -

ويشتري وبالتفتيش لم نجد معه نقودا أو سلعا فأرتبنا في
أمره

(صاحب السوق - يشير إلى الشاعر "بعد ان ترك
النرجيلة واعتدل في جلسته .

تقدم- من أنت وما عملك ؟

ص-

أنا ضمير الشعب ولسان المجتمع - المعبر عن آمالة
والحافظ لفته وتراثه . أفجر نبع الأمانى فى الوجدان
وازكى فيه نار الحماس وأشعل الثورات عند الخطر
تشعل الثورات ؟ إذن انت معادى للنظام . الويل لك
أنت تعترف انك تحرض على الفتن .

ش-

أننى ارفض هذا الاتهام - دعونى أذهب إلى السوق
كي أبيع وأبتاع .

ش-

ماذا تباع وتبتاع ولم نر معك شيئا من نقود أو سلع ؟
أبيع الأمانى والأحلام والحب والأمل - أى أننى

ش -

أبيع السعادة .

(ساخرا) تبيع السعادة .. ترى ... بكم كيلوا السعادة

يا فيصيح زمانك !؟

السعادة لاتقدر بمال . فالمال دونها وإن اكثر . والمال

وسيلة وهى غاية بل إنها غاية الغايات .

دعك من هذا الهراء أتريد أن تهرب من التسعيرة حتى

تغالى فى بضاعتك كما تريد .. ثم انك لم تخبرنى ما

هويتك ومن تكون ؟

إننى شاعر فقير - وهذه مشكلتى .

أى مشكلة تقصد افصح ؟.

مشكلتى أننى مفطور على البراءة - أدعو إلى الأمل

فى زمان اليأس وأبحث عن النور فى وسط الظلام واقدس

الحب فى عصر الكراهية وأعشق الحق والخير والجمال

واناضل ضد الباطل والشر والقبح وسيلتى البلاغة فى

زمان الركاقة كى أوقف الوجدان النائم

والضمير الغافل والعقل الغائب حتى يعود إلى منابع الحياة

ويرى جمالها .

أى جمال يا مجنون بعد كل ما قلت ؟

أرنى أى جمال تتحدث عنه .

- ش - الجمال يا هذا موجود لانة من صنع الخالق الجميل ولكن
الانسان فى هذا
- العصر لا يراه لانة مشغول بصناعة الشر وعبادة المال .
- الأتري هذا الجمال فى زرقة البحر وخضرة لارض
والوان الزهور
- واشراق الشمس وعذوبة النهر وبديع صنع السماء .
- ص - (ينظر حوله ثم ينظر الى السماء)
- الشاعر - هل جئت الى السوق أم إلى المحكمة ؟
- السوقي - المحكمة - آه (يهمس فى أذن صاحب السوق) سيدي
أرسل به إلى المحكمة فلعل قاضي القضاء يودعه السجن .
- ص - حسنا ولكن ما تهمة ؟!
- السوقي - نقول : مثلا - انه جاء إلى السوق متطعا دون أن يبيع أو
يشترى .
- ص - ربما جاء للاتفاق على صفقة مع أحد التجار .
- السوقي - نقول مثلا انه كان يريد أن يبيع - بضاعته المزعومة التي
لا ترى بأكثر من التسعيرة .
- ص - ولكننا لم نضع تسعيرة لهذا الصنف من البضائع حتى
يلتزم به .

- السوقي - نقول مثلاً أنه كان غارقاً في الخيال والأوهام .
- ص - لا يوجد نص في القانون يعاقب الناس على خيالهم وأوهامهم .
- السوقي - (يفكر مغتاضاً) سيدي من يدرينا أنه شاعر ربما كان مدعياً لماذا لا تختبره ؟
- ص - حسناً - سأختبره - اسمع أيها الرجل ألسنت تزعم أنك شاعر؟
- ش - يا هذا أنا شاعر بالفعل ولقد وهبني الله القدرة على التعبير عن مشاعري ومشاعر غيري ولقد ولدت شاعراً وأقول الشعر فطرة ثم اكتساباً وإبداعاً ثم إبداعاً
- ص - اذن سنرى - ماذا تقول شعراً في هذه السوق وما بها من ناس ؟
- ش - (يطل على السوق من إحدى نوافذ الصالة ثم يعود ويتجه لصاحب السوق)

السوق قد ملأت بالناس كالحشر
والناس داخلها من مطلع الفجر
أوقاتهم شغلت بالربح والسعر
من واقف يقظ أو قادم يجري
يدعو لسلعته في البيع - أو يشري

دنيا وساكنها دوما على سفر

ص- رغم انني لم افهم شيئا ولكن يبدو أنه كلام جميل وله وقع خاص .

السوقي - (يهمس في أذن صاحب السوق)

سيدي أجعله يسطر لك هذا الكلام في لوحة لتزين بها هذا البهو في مدخل السوق كي يراها الزائرون فلقد رأيت بعض الوجهاء ممن عملت بخدمتهم يفعلون ذلك حسنا حسنا - معك حق سأفعل ذلك.

ص- [يلتفت إلى الشاعر] اسمع أيها الشاعر يبدو إنك رجل طيب ولذا سوف أشتري بعضا من بضاعتك رفقا بحالك فيكم تباع هذا الكلام الذي قلته .

أقصد هذا الشعر الذي قلته ؟

ش- الشعر يا هذا لا يباع ولا يشتري ولكن يفهم ويحس ثم ... ص- ثم ماذا ؟

ش- ثم يقدر حق قدره .

ص- يفهم . . . ويحس . . . كيف ؟ لا عليك سأقدر شعرك وسأدفع لك اثنين أو ثلاث ... لا ... سأدفع لك خمس شلنات كاملة .

- ش - أصمت يا رجل مالك أنت والشعر حتى تقدره أنني أريد
مكافأة أعظم .
- ص - يا لك من طماع وتدعي أنك رجل طيب - أذكر الشعر
الذي تريده .
- ش - لا - لن أبيع شعري مطلقا - ولكني فقط سأتنازل لك عنه
مقابل خدمة بسيطة .
- ص - ما هي الخدمة التي تريدها سوف أؤديها لك فورا ؟
- ش - أعرف أن لك جاها ودلالا في هذا البلد فأرسل بي إلى من
يهمه أمر الشعر فلقد ضللت الطريق وغلقت دوني
الابواب وبع صوتي دون أن يصل إليه .
- ص - سوف أرسلك إلى زعيم المتقفين - انه صديقي - ويزعم
أنه يفهم جيدا كلام الشعراء والأدباء - ولقد أدبت له
خدمات كثيرة وأعتقد أنه لن يرفض لي طلبا (يلتفت
إلى السوقي) يا غلام : أحضر العربة كي تذهب ومعك
الشاعر إلى زعيم المتقفين (يرفع الشاعر يده بالتحية
وينصرف برفقه السوقي)

(مكتب أنيق فخم يجلس أمامه حاجب يقوم وينحني للداخل والخارج ويجلس زعيم المتقنين في صدر المجلس وعلى يمينه ويساره بعض المستشارين وفوقه لافتة مكتوب عليها زعيم المتقنين .

- ينظر الى الباب ويرقب الداخلين وهو يمسك سماعة التليفون .

الزعيم - نعم لقد وصل - انشاء الله - أي خدمة (يضع السماعة)
الشاعر - (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الزعيم - يقف (مسلما على الشاعر) وعليكم السلام تفضل (يشير اليه) أنت الشاعر نفسه الذي أرسله صاحب السوق ؟

ش - نعم أنا الشاعر نفسه وذاته وعينه وكله وجميعه .

الزعيم - (ضاحكا) تريد أن تستعرض فصاحتك - حسنا لقد علمت بمشكلتك من صديقي وها أنا ذا أمامك فماذا تريد مني ؟

ش - أريد أن تصل أشعاري إلى من يتولى أمر القريض وأهله.
الزعيم - عظيم - هيا اسمعنا أشعارك حتى تصل إلينا .

ش - ماذا تحب أن تسمع ؟

الزعيم - انظر من هذه النافذة وسترى حديقة جميلة تحيط بالمكتب وارسل بصرك بين الخمائل وقل لي ماذا ترى؟

ش -

(يتقدم إلى النافذة وينظر بين الخمائل والأشجار متفحصا

كل ما بالبستان وهو في حالة تأمل حالم -)

الزعيم

ماذا رأيت بين الخمائل أيها الشاعر ؟

ش -

(يتجه نحو الجالسين)

بين الخمائل كم أرى زهرا جميلا باسم

أو برعما في غفوه حاكمي وليدا نائما

والغصن مال مهملا حيا نسيمًا قادمًا

أوراقه ذات الندى خضراء تزهر دائما

وحفية لما علا جاب الربى مترنما

والعشب هام مناجيا وردا رقيقا حالما

وبدا الفراش مرقشا للنور يهفو هائما

والطير يشدو راقصا بالحسن صبا مغرما

ذا جدول " مرقوق " يسري شفيفا حالما

قد شاقه همس الشذي في خلصة - متمكنا

حتى تتأثر في المدى يغزو الفضاء والا نجما

الله - أحسنت أيها الشاعر الرقيق (يلفت إلى مستشاريه)

الزعيم -

ما رأيكما ؟

لبقد أجاد في الصور وأبدع في الموسيقى .

الاول -

الثاني -

الزعيم -

والله ما أحسن ما قال يبدو أنه شاعر مطبوع .

لبقد أقرت اللجنة بشا عربتك وجودة إبداعك فما الجائزة

التي تريدها وسوف تحصل عليها فوراً ؟

ش -

انما جائزتي يا سيدي يا زعيم المثقفين هي أن تجعل

للشعر والشعراء مكاناً في خريطة المجتمع كي يتبأون

مكانتهم على خريطة الزمان والمكان حتى تعرف أقدرهم

وتصان حرياتهم وتحفظ أعلامهم فلا يحاسبون ويحاكمون

ويعاقبون على خيالاتهم وأحلامهم . بغير سند قانوني

الزعيم -

سنحاول أن نفعل ذلك إن شاء الله حينما تتوافر الإمكانيات

وتتاح الفرصة (ينظر في ساعته ثم يقف - فيقف الجميع)

عفواً . لدينا موعد هام فما المكافأة التي تريدها ؟

ش -

أريد أوراقاً .

الزعيم -

ثم ماذا ؟

ش -

ثم أقلاماً - كي أكتب شعراً .

الزعيم -

حسناً سأصدر الأمر بصرف الأوراق والأقلام لك . فقط

عليك أن تكتب الطالب باسمك وتوجهه لزعيم المثقفين

وتتقدم به للجهة المختصة ولا تنسى ان تضع عليه الدمغة

(ينصرف الزعيم وخلفه مستشاريه)

ش -

يخرج ويردد في صوت خافت أمام مكتب الزعيم)

من أين لي بثمن الدمغة ؟ كي أحصل على الأوراق
والأقلام كي أكتب شعرا

تمت

نبذة عن المؤلفة

الشاعرة / نوال مهني أحمد ابو زيد من أبناء محافظة المنيا

تخرجت في كلية الآداب - قسم الفلسفة وعلم النفس -

جامعة المنيا - عملت بعد تخرجها في وزارة التربية والتعليم المصرية
معلمة للمواد الفلسفية والعلوم الانسانية للمرحلة الثانوية ثم تركت التدريس
إلى الاشراف على الصحافة المدرسية بنفس الوزارة . وهي أيضا موجهة
للنشاط الثقافي بمركز سوزان مبارك للفنون والآداب بجامعة المنيا .

وللشاعرة نشاط في المجال الاعلامي ؛ فهي كاتبة مادة ومعدة برنامج في
إذاعة وتلفزيون شمال الصعيد . وهي معتمدة كشاعرة على مستوى
جميع الاذاعات المصرية وقدمت عشرات البرامج الناجحة ذات الصبغة
الادبية .

ومن أشهر البرامج التي قدمتها للاذاعة ولاقت نجاحا كبيرا :

١ - رحلات ابن بطوطة - عمل درامي قديم خلال شهر رمضان في
شكل حوار ممتع وشيق .

٢ - البندورة المسخورة برنامج سياحي ثقافي للأطفال يقدم المادة التاريخية للأطفال بأسلوب بسيط جذاب .

٣ - برنامج أصل الحكاية ، ويقدم المعلومة العلمية للطفل في صورة مبسطة من خلال شرح الأشياء والرجوع إلى أصلها ومراحل تطورها حتى يألف الطفل العالم من حوله ويتعرف على الأشياء معرفة صحيحة .

٤ - مجموعة الفوايزر الثقافية على مدار سنوات متصلة خلال شهر رمضان المبارك وكانت تكتب رجلا وتذاع يوميا .

٥ - برنامج حورا بالأشعار الذي استمر يذاع على مدار ثلاث سنوات ويقدم حوارا شعريا مفترضا (فبركة) بين شاعرين ربما من عصرين مختلفين حول قضية ما مثل وصف الطبيعة أو الحب والحزب والهجر والعتاب والوطن والرسائل والربيع والحزن والفرح والمديح وفضل الأم وفضل العلم إلى آخر موضوعات الحياة ورأي الشعر فيها - وقد قدمت الشاعرة معظم الشعراء العرب من خلال هذا البرنامج .

كذلك قدمت للتلفزيون عدة أعمال ناجحة بعضها إعداد وبعضها تأليف شعرا ونثرا أهمها :

١ - فوايزر : توت حاوي توت : عبارة عن حوارات بالزجل بين الأطفال والحاوي حول الكرة الأرضية والدول المختلفة .

٢ - برنامج نسائي : أسبوعي بعنوان يا بنت بلدي كتبت مادته شعرا
ويقدم الصورة المثالية للمرأة في المجالات المختلفة .

كما دواوينها الشعرية مقرررة في قائمة مكنتبات المدارس الثانوية بوزارة
التربية والتعليم المصرية على مستوى الجمهورية .

وتنتشر الشاعرة إبداعها شعرا ونثرا من خلال الاذاعات والصحف
والمجلات المصرية والعربية وقد حصلت على عدة جوائز وشهادات
تقدير من جهات مختلفة ، كما اقيمت عشرات الندوات والأمسيات
الشعرية لتكريمها ومناقشة دواوينها في القاهرة والاقاليم شارك فيها كبار
النقاد والشعراء وكتبت عنها عشرات الدراسات من الأساتذة والنقاد
التخصصين لتقييم تجربتها الإبداعية وقد نشر معظمها في الجرائد
والمجلات وأذيع بعضها في البرامج الإذاعية المتخصصة .

وقد اشتهرت الشاعرة بلقب (شاعرة الصعيد) نسبة إلى الصعيد
المصري الذي تنتمي إليه وأصبح هذا اللقب أشبه باللائمة التي تذكر كلما
ذكر أسمها في الندوات والجرائد وحتى في المراسلات الرسمية . وكذلك
لقبت بشاعرة الوادى

النشاط الأدبي للشاعرة :-

١ - عضو اتحاد كتاب مصر .

٢ - عضو رابطة الأدب الحديث وجماعة أبو للو الجديدة (القاهرة)

٣ - عضو جماعة ملتقى الاربعاء - بنقابة الصحفيين المصرية
(القاهرة)

- ٤ - عضو جماعة شعراء العروبة (القاهرة) .
 - ٥ - عضو جماعة الأدب العربي (الاسكندرية) .
 - ٦ - عضو جماعة سيد درويش (القاهرة) .
 - ٧ - عضو جماعة الوسطية (بالمنيا والقاهرة)
 - ٨ - عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية .
 - ٩ - عضو نادي الأدب بقصر الثقافة (المنيا)
 - ١٠ - رئيسة لجنة الأدب بجمعية محبى الفنون والأداب (المنيا)
- مؤلفات الشاعرة :

- ١ - نبع الوجدان - ديوان شعر صدر عام ١٩٩١ م
- ٢ - أغاريد الربيع - ديوان شعر صدر عام ١٩٩٣ م .
- ٣ - الفارس والاميرة : مسرحية شعرية صدرت عام ١٩٩٥ وتحكي
ملحمة العبور وحرب أكتوبر المجيدة .
- ٤ - ذات مرة - ديوان شعر صدر ١٩٩٨ م
- ٥ - الجميلة والعراف : مسرحية شعرية صدرت عام ٢٠٠٠ م
- ٦ - سلسلة رحلات ابن بطوطة للأطفال وصدرت في ثمانية أعداد عام
١٩٩٩ م .

٧ - سلسلة أصل الحكاية للأطفال وصدر منها خمسة أعداد عام ١٩٩٩م.

٨ - أغاني الطفولة - ديوان شعر للأطفال - صدر عام ٢٠٠٠ م .

٩-أوراق شاعرة -مقالات نثرية صدر عام ٢٠٠١م

١٠-موال من بلدى ديوان زجل صدر عام ٢٠٠١م

تحت الطبع

١ - (سلسلة حذر فزر) ألغاز شعرية للأطفال .

٢ - أنا شيد الطفولة - ديوان شعر - للأطفال .

٣-فيض الأشجان - ديوان شعر

المحتويات

الصفحة

الموضوع

٥	[١] المقدمة
١٣	[٢] المرأة والإبداع
١٨	[٣] غاية الغايات
٢٠	[٤] الشعر والموسيقى
٢٣	[٥] الكلمة أمانة ومسئولية
٢٧	[٦] الرواية تتسلق على أكتاف الشعر
٣٠	[٧] لغة الشعر بين الفصحى والعامية
٣٤	[٨] اتحاد الكتاب والكيانات الصغيرة
٤٠	[٩] الشعر شعر والنثر نثر
٤٣	[١٠] للحق والنهضة والجمال
٤٦	[١١] هجمة شرسة على الأخلاق
٤٨	[١٢] غربة الشعراء
٤٩	[١٣] بعد التحية
٥١	[١٤] نبت شيطاني ليس شعرا
٥٣	[١٥] الشعر وفوضى المؤتمرات
٥٦	[١٦] قصيدة النثر وهبوط مستوى الشعر
٥٨	[١٧] لمصلحة من هذا العيب
٦١	[١٨] هل ما يكتب الآن يسمى شعرا
٦٥	[١٩] خولة بنت الأزور
٧٠	[٢٠] رحلة على صفحة النيل
٧٣	[٢١] المرأة بين الإبداع والدائرة المغلقة
٧٦	[٢٢] وقفة على بحيرة قارون
٨٣	[٢٣] حرية الإبداع المفترى عليها
٩٠	[٢٤] محمد إقبال الشاعر الفيلسوف
٩٦	[٢٥] المناضل الرمز
١٠٠	[٢٦] غيوم على وجه القمر
١٠٣	[٢٧] الحق والواجب
١٠٥	[٢٨] أبحث عنك
١٠٩	[٢٩] حديث إلى جدتي
١١١	[٣٠] النجمة والحلم
١١٧	[٣١] حياتي بين الورقة والقلم
١٢٢	[٣٢] الشعر والحياة
١٢٦	[٣٣] شكر واعتذار
١٣٢	[٣٤] همسات حائرة
١٣٦	[٣٥] تأملات في صفحة الغمر
١٤٩	[٣٦] الشاعر والسوقة
	[٣٧] نبذة عن الشاعرة

رقم الإيداع : ١٣٤٣٤ / ٢٠٠١

I.S.B.N. 977-248-144-8

